تنزيل الآيات على الواقع عند الحداثيين

إعداد

د. فاتح حسني محمود عبدالكريم

أستاذ التفسير المشارك في جامعة المجمعة

ملخص البحث

يتلخص البحث في بيان نشأة وأصول مذهب الحداثيين، وكشف طريقتهم ومنهجهم في تنزيلهم آيات القرآن علىٰ الواقع، مع ضرب الأمثلة التوضيحية.

ويهدف البحث إلىٰ بيان أصول الحداثيين ومنطلقاتهم في التعامل مع القرآن، ووضعها في ميزان البحث المنهجي وأصوله الصحيحة ومعاييره الدقيقة، وهل كان نهجهم متوافقاً مع لغة القرآن ومقاصده، وهل طرقوا طرق الاستنباط والاجتهاد القرآني.

وسيظهر- إن شاء الله- لكل باحث ومنصف كيف بات القرآن- عندهم- مسرحاً لكل رأي وهوىٰ، وساحة لكل فكرة وبلادة، وأنّ عبثهم هذا- ولا أقول منهجهم- قد جرأ البعض في التطاول علىٰ القرآن وثوابته، فخرجت- باسم مجاراة الواقع وتغير الزمان- أحكام وآراء تناقض بعضها بعضاً، وتفتُّ من مقاصد الشريعة المتفق عليها بين العلماء.

ويوصي الباحث بالتعامل مع هؤلاء الحداثيين بطريقتين: أولهما بالوعي والاستنارة ونشر العلم الصحيح، والالتفاف حول العلماء الربانيين. وثانيهما بفضح أساليبهم وبيان غاياتهم، ودحض أفكارهم بالطرق والأساليب الواعية الملائمة للغة العصر ووسائل التواصل الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الحداثيون/ تنزيل الآيات/ الواقع / إعادة قراءة القرآن.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد الخلق سيدنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإنّ نهضة الأمة شغلت كل فئات الفكر في العالم الإسلامي ودوائره، من أقصاه إلىٰ أدناه، وهم إن اتفقوا علىٰ مقصد النهضة، فقد اختلفوا في وسائلها، بل قد افترقوا في شكلها النهائي الذي ستستحيل عليه، ولما يحن وقته ولا أماراته.

وبالجملة فثمة اتجاهان رئيسان سلكتها الأمة لنهوضها ورفعة أمرها، الأول: سمته وجوهره إسلامي، والثاني: غربي، وكلا الاتجاهين كانت له نكهته ولونه؛ فهناك من سلك المنهج الإسلامي بحذافيره، من غير التقاء مع المنهج الغربي بحال، ومنهم من سلكه ملتزمـًا بالثوابت صارما، وملتقيـًا مع الغرب بنقاط اتفاق علىٰ الكليات الإنسانية الجامعة للبشر أجمعين.

وبالمقابل فممن سلك نهج الغرب أخذه بحذافيره، منسلخـًا منحلاً من كل شيء يمس الإسلام بصلة، ومنهم من جمع بين المنهج الإسلامي والمنهج العربي، لا علىٰ طريقة الالتزام بالثوابت القرآنية والانفتاح علىٰ الغرب، بل بمحاولة التلفيق بين النقيضين ولو علىٰ حساب الثوابت، ومن هؤلاء من سُـمّوا بالحداثيين، واتبعوا المنهج الحداثي الغربي وأقحموه في ثوابت القرآن ومقاصده، وطفقوا تحت زعم الحداثة والانفتاح يتجرأون علىٰ ثوابت الدين وقطعيات القرآن.

أولاً: مشكلة البحث: يقوم البحث علىٰ الإجابة عن المشكلات الآتية: ما هي الحداثة؟ ومن هم الحداثيون؟، وما هي نشأتهم؟ وما هي أهدافهم ومنطلقاتهم؟ وما هو منهجهم؟ وكيف تعاملوا مع القرآن وقطعياته؟

ثانيـًا: أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في تكوين رؤية علمية تحصينية عن الحداثيين وكيفية تعاطيهم مع القرآن الكريم وتنزيله علىٰ الواقع، وبيان المغالطات الكبيرة التي افتروا فيها علىٰ القرآن ومناهج فهمه.

ثالثـًا: أهداف البحث: يهدف البحث إلىٰ بيان وتبيين معنىٰ الحداثة والحداثيين،

وتأصيل منهجهم في تنزيل آيات القرآن علىٰ الواقع، وبيان انسلاخهم عن الضوابط الواجب توافرها فيمن يجتهد ويطابق بين حكم القرآن وواقع يتجدد، ويبيّن الباحث عواقب الإهمال والتهاون في هذه الضوابط عند الحداثيين من خلخلة القيمة المرجعية للقرآن الكريم وثبات أحكامه، مع ضرب أمثلة علىٰ ذلك.

رابعًا: دراسات سابقة: برز في الآونة الأخيرة عدة دراسات تحمل العنوان ذاته باختلاف الفئة الواقعة تحت الدراسة كبحث"تنزيل الآيات علىٰ الواقع لابن القيم"، للدكتور: يحيىٰ زمزمي، وكان في تطبيقات ابن القيم علىٰ واقعه وزمانه.

ورسالة دكتوراه للباحث الدكتور: عبدالعزيز الضامر بعنوان:"تنزيل الآيات علىٰ الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق"وقد طبعت الرسالة وحازت علىٰ جائزة دبي للدراسات القرآنية، وطبعتها الجائزة في العام ٢٠٠٧م، وهو سفر مهم وإضافة نوعية ولكنها لم تعط للحداثة بالاً، لالتزام الباحث بحدود الدراسة.

وهناك دراسة قيمة شاملة لفكر العلمانيين بشكل عام وموسع للدكتور أحمد إدريس الطعان، كلية الشريعة جامعة دمشق، من مطبوعات دار ابن حزم، ٢٠٠٧م، وكانت الدراسة للفكر العلماني بعمومه، وأصوله ومناهجه وتطبيقاته.

أما عن وجود دراسة عن تنزيل الآيات علىٰ الواقع عند الحداثيين، فقد كتب د. الجيلاني مفتاح كتاباً بعنوان: الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم / دراسة نقدية، دار النهضة، دمشق، سورية ٢٠٠٦، وهي دراسة تعنىٰ بالذين يزعمون التجديد في التفسير؛ وموضوع التجديد لم يتطرق إليه بحثي باهتمام؛ إنما كان الهدف من البحث هو التأصيل والتطبيق برؤية علمية لغوية شرعية.

وسيجد الباحث دراسات وكتب تتناول الحداثيين، كلٌ بحياله، كمن كتب عن د. محمد شحرور، ككتاب: بيضة الديك: نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن لمحمد شحرور، ليوسف الصيداوي، وهو لغوي وأديب سوري، نقد فكر شحرور نقداً لغوياً راقياً، ولكنه ضيّق حدود البحث في الجانب اللغوي أكثر من الجانب الشرعي.

وكتاب القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان لأحمد عمران، دار النفائس، بيروت، لبنان ١٩٩٥، وهو مع جودته فقد كان يطنب في الشبهة ويجمل في تحليلها بسطحية أحيانـًا.

وكتاب تهافت القراءة المعاصرة د. محامي منير الشواف، الشواف للنشر والدراسات، ليماسول، قبرص ١٩٩٣. والغريب أن شحرور قد هوي جمع الكتب الناقدة له ويضعها في موقعه ولا يقوم بالرد عليها!

وكذلك كل من كتب عن أركون أو نصر أبو زيد أو محمد الجابري؛ فقد كانت دراساتهم تجريدية فكرية؛ لم تعالج آراءهم في القرآن وتنزيله علىٰ الواقع بشكل تأصيلي تطبيقي.

خامسـًا: منهجية البحث: اعتمد الباحث علىٰ المنهج الوصفي والمنهج التحليلي؛ واصفـًا ما استطعت من أمثلة ومحللاً لها، وتعييرها بالضوابط المعتمدة.

سادسـًا: حدود البحث: ينحصر البحث وتتحدد الدراسة بالحداثيين الذين يتبنون منظومة الحداثة الغربية وقيمها وفكرها وأنظمتها، وينادون بالسير في طريقها واتخاذها مرجعية في التقدم ونهضة الأمة، وبالذات الذين اشتغلوا بقضايا الدين والتراث الديني الإسلامي.

وسيعرض الباحث في ثنايا الدراسة للأمثلة الواقعية وصفـًا لما قالوه، وستطبق الدراسة علىٰ بعض النماذج من الحداثيين، وعلىٰ مثالين رئيسين من طرحهم: المرأة وتعدد الزوجات.

سابعـًا: خطة البحث: جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وفق الآتي:

التمهيد: ويشمل التعريفات:

المبحث الأول: الدراسة النظرية.

المطلب الأول: الاتجاه الحداثي من الميلاد إلىٰ الاستبداد:

المطلب الثاني: فكرة الاتجاه الحداثي ونشأته وتطوره:

المطلب الثالث: منطلقات الحداثيين وأهدافهم:

المطلب الرابع: منهجهم مع السنة النبوية:

المبحث الثاني: **الحداثيون بين الواقع والقرآن.**

المطلب الأول: إعادة قراءة القرآن:

المطلب الثاني: القراءة الواقعية للقرآن:

المبحث الثالث: **نماذج تطبيقية:**

تمهيد: الحداثة والعلمانية:

المطلب الأول: المرأة:

المطلب الثاني: تعدد الزوجات:

الخاتمة والتوصيات:



التمهيد

أولاً: التعريفات:

التنزيل: قال ابن فارس:"(ن. ز. ل) كلمة صحيحة تدلّ علىٰ هبوط شيء ووقوعه. يقولون: نزل عن دابّته، نزل المطر من السماء نزولاً"[1] وما إلىٰ ذلك؛ فتستخدم هذه الكلمة في الأمور المحسوس بها والأمور المعتبرة غير المحسوسة؛ كنزول القرآن من لدن الله عز وجل إلىٰ قلب النبيّ.

الواقع: هي كلمة محدثة في دلالاتها الواقعية الاصطلاحية، أما في اللغة: فهي الحاصل، والمدانيٰ، من واقَع الشيء أي: داناه، ومنه: واقع امرأته، ومنه: واقع أعداءه أي حاربهم[2]، وواقع أشغاله: أي باشرهَا، ووَاقَعَ الأُمُورَ: قَارَبَهَا ودَانَاهَا، والعرب تقول: وقَعَ رَبِيعٌ بالأرض يَقَعُ وُقُوعـًا لأَوّلِ مطر يقع في الخَرِيفِ[3].

ونقول: سِيَاسَةُ الأَمْرِ الوَاقِعِ: أَي الأَمر السَّائد الذي لا يملك المنازع إلا التعامل معه. وعكسه الخيال أوالخيال.. فالأمر الواقع: الوضع الواقعي أو الفعلي، الأمر الواقع قطعًا: بدون ريب، وهي أفعال البشر التي يراد تنزيل الأحكام عليها في جميع المجالات.

فهو شيء نبحث عنه، ونكدُّ لإيجاده وإبرازه، نتاج عمل ومحصلة تفاعل الإنسان مع ما هو حوله من أشياء وأفكار وأشخاص، فالحالة الموجودة من حولنا، أو حتىٰ في دواخلنا وجوّانياتنا هي واقع؛ بغض النظر إن كان هذا الواقع ماديـًا أو نفسيـًا.

تنزيل الآيات علىٰ الواقع: وهي مهارة وحرفية"وهي قدرة المفسر العالِم علىٰ ربط النص القرآني بهذا الواقع المعيش، واستنطاق الآيات علىٰ ضوء المشكلات

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٥: ٤١٧، وانظر: العين، للفراهيدي(١٧٠هـ) ٧: ٣٤٧؛ ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) ١٤: ١١١.

(٢) المعجم الوسيط، ٢/ ١٠٥٠، وقع.

(٣) لسان العرب لابن منظور، وقع، ٨/ ٤٠٢.

الواقعية التي يحياها؛ في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة، أو في سبيل إدماج النص القرآني بالواقع، وتبيين موقفه من هذا الواقع؛ باعتبار أنّ القرآن هو القيم والمصدر الذي يحدد على ضوئه الأحكام الإلهية بالنسبة إلى ذلك الواقع".[١]

فهي مقابلة الأحداث المعاصرة، وإدخالها فيما يناسبها من الآيات القرآنية؛ وهو التوفيق بين الآية القرآنية وما تنطبق عليه في الواقع المعيش والنازلة الحادثة؛ وقولي: التوفيق هو بمعنى السداد والنجاح بهذا التنزيل؛ ويلزم من هذا: أن يحسن المنزِّل والموفق فهم الآية القرآنية وسياقها وعلاقتها بهدي القرآن وغاياته.

ومن وجهة النظر الإسلامية فإن كل حركات المسلم وسكناته وموجوداته وتعاملاته لها ارتباط مع القرآن؛ إما إقراراً أو إنكاراً؛ فهي مرتبطة بالإنسان وهو مسؤول عنها، يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ الإسراء: ١٣

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ الأعراف: ٨ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ طه: ١١١ فالعالِم هو"من يتوصل بمعرفة الواقع والفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله[٢]"."فالحكم الذي وضعه الشرع، أو اجتهد فيه المجتهدون، لم يوضع للحالة الجديدة التي بين أيدينا".[٣]

ثانيًا: قطعي القرآن وتغير الواقع:

التسارع في الأحداث، والتغيرات، والمستجدات... وضعت المفسرين أمام تحديات جسيمة؛ دعتهم للتفكير مليًا في هذا التغير المحموم للواقع؛ وفق نصوص ثابتة أزلية، وقاطعة بالامتثال والطاعة؛ فهل لهذه النصوص قطعيتها الدلالية كما لقطعيتها الثبوتية؟ ألم يأمرنا القرآن من خلال نصوصه بالتعامل مع هذا الواقع

(١) انظر أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين د. جهاد النصيرات ص٣، و أثر الواقع في التفسير د. عماد حمتو، ، ١/ ٢١٤.

(٢) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية. ص ٧٠.

(٣) الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة د/ أحمد الريسوني، ص ٦٤.

بحِرَفية و بصيرة؟ وقد جاءت إشارات قرآنية جلية تحث العلماء علىٰ الاستنباط والاجتهاد، وإنعام النظر في النصوص ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣"ومعنىٰ قوله:(يستنبطونه) أي: يستخرجونه ويستعلمونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين، إذا حفرها واستخرجها من قعورها"[١] قال الطبري:"لعلمه الذين يفصحون عنه ويهمّهم ذلك"[٢]. يهمهم؛ فهو معاشهم وشغلهم. ولذلك لم يقل: ردوه إلىٰ الله بل إلىٰ الرسول، وحتىٰ لا يفهم من رده للرسول أنه الوحي عطف عليه أولي الأمر منهم، فلا يُردُّ إلىٰ أولي الأمر إلا لكونه قابلاً للاجتهاد والاستنباط منه، لذلك كان سياق الآيات قبلها حث علىٰ التدبر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢، وهذا المستنبط لا بد أن ينضبط بضوابط ويتأهل بمؤهلات منها:

أولا: استحضار المسؤولية وثقل المهمة: وهي الضابط الأقوىٰ في التحري والاجتهاد، ومن راعاه أمن- إلىٰ حد كبير- من الزلل والانحراف، قال تعالىٰ:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ النحل: ١١٦. قال الشافعي:"ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب، أو في السنة، أو في الإجماع، أو القياس علىٰ هذه الأصول، وما في معناها، قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يونس: ٥٩"[٣]

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٣٦٥.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٨/ ٥٧٢.
(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، ٢/ ٥٩.

وقال مسروقٌ:"اتقوا التفسيرَ فإِنَّمَا هُوَ الروايةُ عنِ اللهِ"[١].

ثانيـًا: التأهيل العلمي والمعرفي: ومن لوازم المسؤولية واستشعار خطورة التدبر والاستنباط اكتساب ملكة العلم وقواعد المعرفة، قال الإمام الزركشي:"واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها؛ فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنىٰ الآخر"[٢].

"وفىٰ هذا تتفاوت الأذهان وتتسابق في النظر إليه مسابقة الرهان، فمن سابق بفهمه وراشق كبد الرمية بسهمه، وآخر رمىٰ فأشوىٰ وخبط في النظر خبط عشوا، كما قيل: وأين الدقيق من الركيك وأين الزلال من الزعاق [٣]"[٤].

فإذا تحصلت أسباب العلم، توجه العالم لمالك هذه الأسباب بنية صادقة؛ فينظر الله لهذا القلب المتوكل، فيفيض عليه من مناهل العلم ومدارك المعرفة، قال الحارثُ المحاسِبيُّ رحمه اللهُ:"فإذا أقبلتَ علىٰ اللهِ تعالىٰ بصدقِ نيةٍ، ورغبةٍ لفهمِ كتابِهِ باجتماعِ هَمٍّ، مُتَوَكِّلا عليهِ أَنَّهُ هُوَ الذي يفتحُ لك الفهمَ لا علىٰ نفسِكَ فيما تطلبُ ولا بما لَزِمَ قلبَكَ مِنَ الذكرِ، لم يخيبْك من الفهمِ والعقلِ عنه إنْ شاءَ اللهُ"[٥].

ثالثـًا: الموهبة: وهي قدرات ربانية يتميز بها الموهوب عن غيره من نظائره وأقرانه، وهي بشقيها الفطري والكسبي عامل أساس في التعاطي مع التفسير والقول فيه؛ وقد عدّ السيوطي الموهبة من أصولِ علمِ التفسير فقال رحمه الله:"قلتُ: ولعلكَ تستشكلُ علمَ الموهبةِ، وتقولُ: هذا شيءٌ ليس في قدرةِ الإنسانِ. وليسَ كمَا ظننتَ من الإشكالِ؛ والطريقُ في تحصيلِهِ: ارتكابُ الأسبابِ الموجبةِ له

(١) معالم التنزيل للبغوي ١/ ٣٣٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٩٥.

(٣) الزُّعاقُ كغُرابٍ: الماءُ المُرُّ الغَليظُ لا يُطاقُ شُرْبُهُ: القاموس المحيط، للفيروز أبادي، فصل الزاي، الزرق، ١١٤٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٥.

(٥) فهمُ القرآنِ ومعانيهِ لأبي عبدالله الحارثِ بن أسدِ المحاسبيِّ ص ٢٧١

من العملِ والزهدِ"[1]

رابعـًا: النظرة الكلية الشاملة للقرآن الكريم: فإنّ النظرة الجزئية للقرآن قد تعطي فهمـًا مغلوطـًا وحكمـًا معاكسـًا؛ فقد أنـزل الله سبحانه القـرآن الكـريم كتـاب هدايـة للعالمين، وهو الكلمة الأخيرة للبشرية من الله، حيث ختم الله الرسالة بنبيه محمد ﷺ، وانقطع وحيُ السماء.

خامسـًا: التعايش مع الواقع والتصالح معه وضبط تنزيل الآيات عليه: أرجَعَ الإمام الشاطبيُّ نبوغَ أهل التفسير إلىٰ أمرينِ:"أحدهما: معرفتهم باللسان العربي... والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة؛ فهـم أقعدُ في فهمِ القرائنِ الحاليَّةِ، وأعرفُ بأسبابِ التنزيلِ، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهدُ يرىٰ ما لا يرىٰ الغائبُ، فمتىٰ جاء عنهم تقييدُ بعضِ المطلَقَاتِ أو تخصيصُ بعضِ العموماتِ، فالعملُ عليهِ صوابٌ، وهذا إن لم ينقلْ عن أحدٍ منهم خلافٌ في المسألةِ، فإن خالفَ بعضُهُم: فالمسألةُ اجتهادِيَّةٌ"[2]. وبناءً عليه فإنّ التعاطي مع القرآن أمر جلل وتنزيله علىٰ الواقع أمر مبجل مفخّم، لا يرتقي إليه إلا أهله وذووه.

وليس ينكر الدين الإسلامي التجديد والابتكار؛ لكن دون إلغاء الثابت؛ فثمة ثوابت في الدين وثمة متغيرات؛ وقد أباح لنا الإسلام بالمناورة في هامش المتغيرات فقط وفق الثوابت، وذلك بإشرافٍ صارمٍ من المؤهل لمعرفة هذه الثوابت من المتغيرات؛ وهم الراسخون في العلم.

لكنّ هذا المسار لم يرق لفئة من الناس، مسخت بمسوخ الاستشراق فانسلخت عن الدين تحت نكهة مزيفة تسمىٰ التجديد والتحديث، وهم الحداثيون؛ فمن هم وما هي منطلقاتهم. وكيف تعاطوا مع القرآن وتجرأوا عليه، وكيف كانت تجربتهم في تنزيل الآيات علىٰ الواقع.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٤٧٩،

(٢) الموافقات للشاطبي، ٣/ ٣٣٨.

المبحث الأول: الدراسة النظرية

المطلب الأول: الاتجاه الحداثي من الميلاد إلىٰ الاستبداد:

الحداثة مولود مجهول النسب؛ فقد تكوّن جنينه من تلاقح أفكارٍ وثنية قديمة، مع موروثات كنسية عبثية، مع تزاحم المذاهب والاتجاهات الفكرية، وتنازع الفلسفات المادية المتناحرة، وممارسات الكنيسة الاستبدادية؛ كل هذا الاختلاط المعرفي والثقافي وتراكميته علىٰ العقلية الغربية أدىٰ لولادة مسخ مذهبي فكري شمولي[١] جديد، بتطور أخطر ممن قبله؛ وكلما جاءت أمة لعنت أختها.

ويقصد الباحث بكلمة الاستبداد أنّ من تبنوا هذا الفكر وهذا المنهج لم يقتصر أثرهم علىٰ الخطب والكلمات؛ بل ألزموا الناس ما اعتقدوه، وعاقبوا من تنكر لهم، فاستبدوا برأيهم ولم يلن جانبهم، مَثَلُهم في ذلك مثل تبنّي النظام السياسي للخليفة المأمون لمذهب المعتزلة، وما لحق بسبب ذلك من فتنة الإمام أحمد، وما نراه الآن في تصرفات لبعض الأنظمة السياسية التي ألزمت المسلمين- وخاصة المرأة- باتجاه مسلكي متحرر ومتفلت.

المطلب الثاني: فكرة ونشأة الاتجاه الحداثي وتطوره:

أولا: التسمية: الحداثة في اللغة: هي مصدر من الفعل(حَدَثَ)، وتعني نقيض القديم، كما جاء في المعجم الوسيط: الشيء حدوثا وحداثة نقيض قدم، والحداثة أول الأمر وابتداؤه، وهي الشباب وأول العمر.[٢]

وفي الاصطلاح: هي مذهب فكري أدبي علماني، بني علىٰ أفكار وعقائد غربية خالصة، مثل الماركسية والوجودية[٣] والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب

(١) وليس شاملاً؛ فالشمول هو الاستبداد والشامل هو المتنوع والمتعدد.

(٢) المعجم الوسيط ١/ ١٥٩، ولسان العرب ٢/ ١٣١.

(٣) هي إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان، وقد ظهرت الوجودية نتيجة لحالة القلق التي سيطرت علىٰ أوروبا بعد الحرب العالمية الأولىٰ، واتسعت مع الحرب العالمية الثانية، وسبب هذا القلق هو الفَناء الشامل الذي حصل نتيجة الحرب. كلمات من الحضارة، د/ منصور عيد، ص ٢٤٨.

الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية[1] والرمزية[2] وغيرها.[3].

ويتسم هذا المصطلح بالغموض باتفاق الباحثين، ولهذا قال بعض الحداثيين ساخراً: "إذا وضعت في حجرة واحدة المناقشين الأساسيين للمفهوم- وأنا معهم- ثم أغلَقْت الحجرة وألقيتَ بالمفتاح بعيدًا، فلن يحدث إجماع بين المشتركين في الجدل بعد أسبوع، وأنّ خطًا رفيعـًا من الدماء سوف يظهر من تحت الباب"[4]"حتىٰ إنّ الحداثيين أنفسهم أخفقوا في تحديد مفهوم دقيق لها، وعرَّفوا الحداثة بعد الجهد بالحداثة"[5]. "وسبّب ذلك اختلافـًا واسعـًا غير منضبط في تعريف مصطلح الحداثة (Modernity) أو العصرنة أو التحديث، فجعلوها وصفـًا لأي عملية تتضمن تحديث وتجديد ما هو قديم؛ لذلك فقد تستخدم في مجالات عدة، لكن هذا المصطلح برز واضحـًا في المجال الثقافي والفكري التاريخي ليدل علىٰ مرحلة التطور التي طبعت أوروبا بشكل خاص في مرحلة العصور الحديثة"[6] وكل "ومن الغريب أنّ كل حركة جديدة للحداثة تعارض سابقتها في بعض نواحي شذوذها، وتتابع في الوقت نفسه مسيرتها في الخصائص الرئيسية للحداثة"[7].

ويفرق د أحمد الريسوني بين الحداثيين، ولا يضعهم في كفة واحدة، بل يصنفهم إلىٰ أصناف عدة؛ فهو يفرق بين من ينادي بالحداثة مع التمسك بالقطعي من القرآن، وبين من يقلد مِنْ غير فهم وبصيرة، وبين من يمكر بخبث ودهاء؛ وهو بذلك يعزز

(١) ما فوق وما بعد الواقعية، ويدعو للتحلل من واقع الحياة الواعية، والهروب لما بعد الواقع؛ وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور المكبوت داخل النفس. للتفصيل انظر كتاب مدخل إلىٰ الذوق والتدخل الفني، محمود أبو العباس عزام.

(٢) التعبير بالرمز عن الأفكار والعواطف والرؤىٰ، وهذا ما يفتح بابـًا للغموض.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ١٠٢

(٤) بحوث مؤتمر الانتصار للصحيحين: نحو منهجية علمية للتعامل مع الصحيحين، د أنس النابلسي ص١٨٧.

(٥) الأساس الإلحادي للمفاهيم الغربية، د. أحمد إبراهيم خضر، مجلة البيان، العدد ٢٢٣.

(٦) بحوث مؤتمر الانتصار للصحيحين: نحو منهجية علمية للتعامل مع الصحيحين، ص١٩٢.

(٧) الحداثة: لفظ له رنين لإلغاء الدين 15. /http://taseel.com/articles/viewprint رجب ١٤٣٤هـ، بدون اسم مؤلف.

نظرية إنتاجية المعرفة؛ فالفكر المقاصدي متقدم عند المغاربة ومتبلور أكثر من المشارقة، وعندهم- أي المغاربة - نظرة إصلاحية قد تتقاطع في بعض الأحيان مع الحداثيين، ولكن بمرجعية قرآنية صارمة، وشيء من الزهد بالتراث المحيط بالقرآن أحياناً أخرى، فيقول: "ومعلوم أن الحداثيين أشكال وألوان، وهم في موقفهم من الشريعة وأصولها ومقاصدها على درجات ودركات. وعلى العموم فهم كما قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾ آل عمران: ١١٣ فمنهم مناضلون شرفاء، ومنهم نفعيون سفهاء، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم ملحدون صرحاء، ومنهم متأرجحون بين هؤلاء وهؤلاء، ومنهم منافقون خبثاء، حتى إنّ أحدهم سئل مرة: لماذا تطبع كتبك بحرف صغير؟ فقال: حتى لا يقرأها مشايخ الأزهر فيكفرونني!"[1].

ولست مع الدكتور الريسوني في جعل العلماء المجددين في التفسير من جملة الحداثيين؛ لما لهذا المصطلح من ظلال سلبية، فتجديد أمر الدين بالمحافظة على قطعياته أمر مندوب إليه.

لكنّ أخطرهم هو من تقنع بالإسلام وحفر من داخله، مُظهراً نصحه وحبه، وهو أشد الخصام، ومنهم المفكر التونسي محمد الطالبي[2]؛ الذي رمى الحداثيين بما هو واقع فيه؛ فقال - مصنفاً الحداثيين وهو منهم -: "إنّما عدم الإفصاح عن الانسلاخ عن الإسلام صراحة، من باب الكيد المُبيّت والتدليس المقصود، قصد نشر الانسلاخسلاميّة[3] خلسة، بطرق التمويه والكذب والنفاق"[4].

---

(١) د. أحمد الريسوني، الحداثيون ومقاصد الشريعة، مجلة الأمة الإلكترونية، ١٠ فبراير ٢٠١٤، http://www.al-omah.com.

(٢) مفكر تونسي طاعن في السن، وفي ظني أنه في كتابه: ليطمئن قلبي، كتب واصفاً نفسه؛ فهو أيضاً ممن انسلخ عن الآيات، انظر: جريدة الصباح الإلكترونية، ١١ فيفري، ٢٠١٤م. تحت عنوان: محمد الطالبي يجيز للمتزوجة العمل كمومس، ولا يحرم اللواط.

(٣) سماهم بهذا نحتاً من الآية: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٥.

(٤) محمد الطالبي، ليطمئن قلبي، ص ٣٧.

ثانيـًا: النشـأة والتطـور: الحداثـة خلاصـة مـذاهب خطيـرة ملحـدة، ظهـرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية، وهي مـن هـذه الناحيـة شـر وخطـر كبيـر؛ لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل، وهـي صـبيانية المضـمون، وعبثيـة في شكلها الفني، وتمثل نزعة الشـر والفسـاد في عـداء مسـتمر للماضـي والقـديم، وهـي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي، ولظهـور الشـك والقلـق في حياة الناس، مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير.[1] وهـي بـذلك أشـد خطورة مـن الليبراليـة والعلمانيـة والماركسـية، وكـل مـا عرفتـه البشـرية مـن مـذاهب واتجاهات هدامة؛ ذلـك أنهـا تتضـمن كـل هـذه المـذاهب الفكريـة، وهـي لا تـخـص مجـالات الإبـداع الفنـي، والنقـد الأدبـي، ولكنهـا تـخـص الحيـاة الإنسـانية في كـل مجالاتها المادية والفكرية علىٰ حد سواء، وهـي بهـذا المفهـوم الاصـطلاحي: اتجـاه جديد يشكل ثورة كاملة علىٰ كل ما كان وما هو كائن في المجتمع.[2]

نشأتها عند الغرب: هناك مصطلحان متداولان: الحداثة وما بعد الحداثة، انتشر نجمها في منتصف القرن العشرين من القرن الماضي عند الغرب، ولـم يهتد أحد بعد إلـىٰ تحديـد مصـدره بدقـة[3]. و"ظهـر المفهـوم أولاً مرتبطـًا بفـن العمـارة في عـام ١٩٤٥م؛ حيث كانت تعني الخروج علىٰ كل ما هو نمطي ومألوف برؤية ثورية تعيد صياغة العمارة؛ باعتبارها نشاطـًا فنيـًا وإنسانيـًا، يتمتع بحريـة تامـة، ولا تحـده قيـود. ثم امتد المفهـوم- كغيره من المفـاهيم- إلـىٰ ميـادين الحيـاة الأخـرىٰ، فأعيـد تعريفـه ليعنـي: وجهـة نظـر خاصـة تـدور حـول إمكانـات الحيـاة الاجتماعيـة البشـرية، تجـد جـذورها في التنـوير، وتتأسـس علـىٰ الإيمـان بـالتفكير العقـلاني، ومـن ثـم تنظـر إلـىٰ الحقيقة والجمال والأخلاق كحقائق موضـوعية يمكـن اكتشـافها ومعرفتهـا وفهمهـا

(١) انظر تفصيل ذلك في مجلة مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الحداثة: لفظ له رنين لإلغاء الدين ١٥ رجب ١٤٣٤هـ: http://taseel.com/articles/viewprint/2325

(٢) الحداثة في الأدب المعاصر، د. محمد هدارة، مجلة الحرس الوطني، عدد ربيع الآخر ١٤١٠هـ.

(٣) قراءات في ما بعد الحداثة، مجموعة من الباحثين، ص٦١.

من خلال التفكير العقلاني والوسائل العلمية، وليس عن طريق الدين"[١].

"فأول مولود من المذاهب الأدبية الفكرية في الغرب كانت"الكلاسيكية" الداعية للنمطية والجمود، ثم جاءت "الرومانسية" بثورة متمردة على الكلاسيكية، فحطمت كل قديم حتى الشرائع؛ وحاربتها واصفةً إياها بأنها سبب المصائب على البشرية.

ثم جاءت المدرسة"الواقعية"والتي مسخ منها"الرمزية"بشكلها النهائي على يدي الأمريكي اليهودي عزرا باوند، والإنجليزي توماس إليوت، والتي أسست ومهدت للحداثة".[٢]

نشأتها عند العرب: وهو ما درج عليه بمصطلح التغريب؛ تغريب الروح والجسد والكلام والهوى والمصلحة، ونحن نفرق بين تكرير المعرفة وتنقيتها، وبين قبولها كما هي بمسخها ونسخها. وهي النتيجة التي تبعت هزائم الأمة المسلمة وسقوط عقدها وذهاب أرضها وتقسيم شعوبها، فطفق الناس والمثقفون منهم يتبعون القوي ويستنون بسننه وهديه"عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن!"[٣] فمِنْ هزيمة إلى هزيمة، ومن سقوط مدني إلى سقوط فكري وحضاري وعسكري، وبدلاً من البحث عن روافع ودوافع لهذه الأمة- وهي وظيفة مفكريها ومثقفيها- قفزت فئة ممسوخة من سفينة الأمة ترجو النجاة وشاطئ الأمان، وياليتهم نجحوا في نجاة أنفسهم؛ فسلكوا كل مذهب ومسلك؛ من رأسمالي أو شيوعي وغيره، حتى غرقوا في تلاطم بحر الحداثة، وما رست مراكبهم، بل ضلُّوا وذهبوا متحيِّرين ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ المائدة: ٢٦.

(١) الأساس الإلحادي للمفاهيم الغربية، د. أحمد إبراهيم خضر، مجلة البيان، العدد ٢٢٣.

(٢) بتصرف من إحسان عباس، فن الشعر، ص٧٢.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، ج٩ ص ١٠٣.

ويعدّ أدونيس[1]- مرسل الشيطان- منظر وحادي فكر الحداثيين العرب، وكتابه (الثابت والمتحول) هو إنجيل الحداثيين كما يقول محمد المليباري[2].

ولا شك أن الحداثيين العرب حاولوا بشتىٰ الطرق والوسائل أن يجدوا لحداثتهم جذوراً في التاريخ الإسلامي؛ محاكاة لما فعله الغرب في إرجاع حداثتهم إلىٰ الثورة اللوثرية[3]، فما أسعفهم إلا أن استشهدوا إما بملحد أو فاسق أو ماجن؛ كالحلاج، وابن عربي الصوفيين، وبشار، وأبي نواس، وابن الراوندي، والمعري، والقرامطة، وثورة الزنج[4]، لكن الواقع أنّ كل ما يقوله الحداثيون هنا ليس إلا اجتراراً لما قاله حداثيو أوروبا وأمريكا، ورغم صياحهم ومناداتهم بالإبداع والتجاوز للسائد والنمطي- كما يسمونه عندهم- إلا أنه لا يطبق إلا علىٰ الإسلام وتراثه، أمّا وثنية اليونان وأساطير الرومان وأفكار ملاحدة الغرب- حتىٰ قبل مئات السنين- فهي قمة الحداثة، وبذلك فهُم ليسوا إلا مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة في الغرب مثل: إليوت، وباوند، وريلكة ولوركا، ونيرودا، وبارت، وماركيز[5]."وعندما أقول الشعراء الجدد، وأذكر مفهوم الحداثة عندهم .... أتمثل كبار شعراء الحركة الحديثة من أمثال: أدونيس، وبدر شاكر السياب، وصلاح عبدالصبور، وعبدالوهاب البياتي، وخليل حاوي... عند هؤلاء سوف نعثر علىٰ إليوت، وإزرا باوند، وربما علىٰ رواسب من رامبو، وفاليري، وربما علىٰ ملامح من أحدث شعراء العصر في أوروبا وأمريكا، ولكنا لن نعثر علىٰ التراث العربي".[6] فخلطت الحداثة بين التجديد والاجتهاد، وبين الهدم الراديكالي الثوري للدين، وارتباطه السماوي.

(١) شاعر سوري من مواليد ١٩٣٠ وهو الموجه لفكر الحداثة وحادي ركبها، وما من فكرة أو بيت شعر ساقط في كتب التراث إلا ونبش قبره وبعثه من جديد، ليستخرج منه كل شاذ ومنحرف.

(٢) ذكر ذلك د محمد هدارة في مقال له نشر في مجلة الحرس الوطني السعودي، مرجع سابق.

(٣) نسبة إلىٰ مارتن لوثر (١٠ نوفمبر ١٤٨٣ - ١٨ فبراير ١٥٤٦) الراهب ألماني، وثورته علىٰ الكنيسة.

(٤) انظر الثابت والمتحول أدونيس، علي أحمد سعيد، ص٦١.

(٥) اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، محمد برادة، ص١١.

(٦) الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية، محمد بن عبدالعزيز العلي، ٢/ ٦٩٠.

المطلب الثالث: منطلقاتهم وأهدافهم[(١)]:

أولاً: أهدافهم: تهدف الحداثة- عامةً- إلىٰ إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بحجة أنها قديمة وموروثة؛ لتُبني الحياة علىٰ الإباحية والفوضىٰ والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية الفضفاضة، والنفاذ إلىٰ أعماق الحياة[(٢)]. واندفع الحداثيون العرب- في تصورهم لتحقيق الحداثة- إلىٰ تحقيق قطيعة معرفيَّة مع الماضي واحتقار التراث، ثم الوصول بالتبعية الثقافية للغرب إلىٰ أبعد نقطة[(٣)]، فوصفوا التاريخ بالسِّجن؛ وجعلوا نصب أعينهم قول الحداثي الأمريكي: "مشكلتكم أنكم تنظرون إلىٰ الوراء، وبهذا أصبحتم سُجناءَ الماضي".[(٤)]

ويتعامل الحداثيون مع النصوص الشرعية عامة، والصحيحين بشكل خاص وفقًا للمعايير الغربية، الملخصة فيما يأتي[(٥)]:

١- "أنسَنَة الدِّين"، أي: إرجاع الدين إلىٰ الإنسَان، وإحلال الأساطير محلَّ الدِّين.

٢- تطبِيق المبادئ النَّقدية الوَافِدة علىٰ النصوص المقدَّسة.

٣- جعل العلميَّة "أو العقلانيَّة" والدين علىٰ طرفَي نقِيض، علىٰ أساس أن: الدِّين فِكر غيبِيٌّ، يتعارض مع التفكير العلمِي والعقلاني.

ثانيًا: أسس الحداثة: يتبلور الفكر الحداثي علىٰ معالم وأسس ومحددات كثيرة، منها وأهمها:

---

(١) انظر جميع كتاب موقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، د محمد القرني، ، مجلة البيان، ط١، ١٤٣٤هـ، وهو كتاب قيم شامل.

(٢) للمزيد: الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة؛ ج٢، ص: ٨٦٧.

(٣) المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، للدكتور عبدالعزيز حمودة، ص٣٧.

(٤) حجية السُّنَّة، عبدالغني عبدالخالق، انظر مقال: الحداثة وطريق النهضة، أ. د. مصطفىٰ حلمي، ٦/ ٩/ ١٤٢٩، http://www.alukah.net/sharia.

(٥) د. أنس سليمان المصري النابلسي، المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م http://islamport.com/k/mjl/6410/15817.htm.

١ – **العقلانية**[١]: فهي تمجد العقل وتجعل منه شريكاً لله، لا أنه آلة من صنع الله؛ وما استعانوا بذلك إلا كهجوم استباقي لكل ما هو غيبي، وإن كانت العقلانية مذهباً فكرياً مستقلاً؛ فهم ملةٌ واحدة ونبت شيطاني واحد، جعل الوسيلة وهو العقل هي الغاية، وجعلوا الخادم يحكم على سيده؛ فما العقل إلا خادم يخدم النص ويستخرج منه درره وفوائده.

وتتجلى هذه العقلانية[٢] بعقلنة الرؤية إلى العالَم؛ واستبعاد القداسة عن جميع العناصر المعرفية، والقيمية، وغيرهما؛ لتحل محلّها النظرة الميكانيكية الآلية وفصلها عن النظرة الدينية تماماً، والحكم بخرافة أي فهم يستند إلى مرجعية الكتب المقدّسة وعلى رأسها القرآن الكريم، وبالتالي المنادي بالعلمانية والحرية.

٢ – **التاريخية**: وهي نتاج طبيعي عن الأساس الأول؛ فحلّ التفسير العقلاني بدلاً من التفسيرات العلية أو الغائية لحركة التاريخ، وألغوا الإرادة الإلهية الكامنة خلف حركة التاريخ، [٣] ليستحيل الإنسان هو المحور بأوليته ونهايته وبلا دلالة غيبية[٤].

٣– **النسبية**: وهي نتاج ما بعد الحداثة، فالحداثة من طبيعتها وجوهرها إعطاء الإنسان القدرة على خلق قيمه ومبادئه، بل تبديلها بحسب التغيرات والنسبيات، وليس فقط تبنّيها؛ فكل شيء يخضع للنقاش والمزايدة، وتسرب هذا الاتجاه للعرب والمسلمين كما تتسرب المهربات والمخدرات، وكانت بدايتها بإعادة النظر بمركزية الثقافة الغربية، وأنّ كل قيمة خاضعة للتبديل والتحويل ضمن سياق الثقافة

(١) بحث مهم: حدود عقلانية الحداثة الغربية والتأسيس الإيماني للعقل، للباحث: عبدالرزاق بلعقروز، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة — ١٩٨١م، العدد رقم ٧٢.

(٢) العلمانية انتصاراً للعدل، ناصيف نصار، ص١٣٨.

(٣) وهم وحور كتاب العقل في التاريخ، هيجل (جورج فلهلم فردريك).

(٤) انظر لتفصيل ذلك: كتاب تحولات الفكر الفلسفي المعاصر: أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، بلعقروز.

التي ولد بها[١]، ثم التُقفت وعُممت حتىٰ علىٰ الدين نفسه، مع أنّ النسبية هي أيضـًا نسبية، فالـدَوْر فالها. يقول المسيري رحمه الله:"التغير من أهم سمات الوجود الإنساني، ولكن هل كل أبعاد الإنسان تتغير؟ ألا يوجد أي شكل من أشكال الثبات؟ وهل كل المعرفة نسبية؟...إنّ فكرة الضمير رغم أنّ لها أساسـًا تاريخيا ماديا، وفكرة الجمال علىٰ الرغم من أنها تعبر عن نفسها من خلال المادة، تتخطيان المادة وبالتالي تكتسبان استقلالاً، بل وتصبحان بمرور الزمن قيمـًا عالمية ثابتة لصيقة بظاهرة الإنسان... فإنسانيتنا المشتركة تتسم بقدر كبير من الثبات. وحينما يحاول البشر أن يعيدوا صياغة أنفسهم وصورتهم، هل يحاولون محاكاة صورة الآلهة أم صور القرود؟ وهل نقبل البشر الذين يحاولون تحقيق المثل العليا قبولنا لأولئك الذين يسلكون مسلك القردة العليا؟"[٢]

المطلب الرابع: منهجهم مع السنة النبوية:

وضع الحداثيون السنة حجر عثرة بينهم وبين القرآن، فتجاوزوها وكأنها لم تكن، رامين بها وبكلام علماء الإسلام وبالقرآن قبل ذلك عرض الحائط.

أولاً: خطاب الرسول وخطاب النبي: ويفرق الحداثيون بين خطاب القرآن بلفظ الرسول وخطابه كنبيّ، فخطاب الرسول تشريع، وخطاب النبيّ كبشر، يقول شحرور[٣]:"بل نجد أكثر من أمر بطاعة محمد الرسول.. لماذا؟ لأن الطاعة لا تجب إلا للمعصوم، ومحمد الإنسان ليس معصومـًا، ومحمد النبي ليس معصومـًا، ومحمد الرسول هو المعصوم في حدود رسالته حصراً الموجودة في التنزيل، وأدلتنا

---

(١) أهم من كتب بعمق وتحليل وتمكن ثقافي في هذا الموضوع كتاب"الدّراسات الدّينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلىٰ النّسبيّة الثّقافيّة"د المبروك المنصوري.

(٢) مقالة الحداثة المنفصلة عن القيمة والإله الخفي، عبدالوهاب المسيري ١٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ، http://www.aljazeera.net

(٣) محمد شحرور (مواليد دمشق ١٩٣٨) أستاذ الهندسة المدنية في جامعة دمشق، حادي ركب مقولة: القراءة المعاصرة للقرآن. وفي سنة ١٩٩٠ أصدر كتاب الكتاب والقرآن تجرأ فيه علىٰ كل ثوابت الدين بلغة غريبة عن القرآن.

من التنزيل والأخبار أكثر من أن تحصى. ثمة أمر إضافي هام آخر، هو أن النبوة تحتمل التصديق والتكذيب، ومن هنا نجد أنّ النبي حين يبلّغ للناس مثلاً ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ الحج: ١. أو يبلّغ مثلاً ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ البقرة: ٢٥٥ يكون جواب السامع إما: صدقت أو: كذبت. أما حين يبلغ الرسول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤ فلا محل هنا للتصديق والتكذيب، وعلى السامع إما أن يقبل ويطيع، أو أن لا يقبل ويعصي.

ثانيًا: السنة النبوية هي تفاعل مع الواقع فقط: وهي غير ملزمة لواقع جديد مختلف وزمان مختلف، يقول شحرور:"أما الاستعانة بأفعال الرسول وأقواله، والتأسي الحسن بما كان يقول ويفعل، فهو في أنه تعامل مع التنزيل الحكيم من خلال السيرورة والصيرورة التاريخية البحتة للعرب في شبه جزيرتهم، أي في حدود التاريخ والجغرافيا، ضمن مستواهم الاجتماعي والمعرفي، وضمن الإشكاليات المطروحة أمامه، بحيث أسس دولة مركزية، وحقق قفزة نوعية؛ أي أنه كان المرآة الصادقة الأولى لتفاعل التنزيل ككينونة في ذاته مع حقبة تاريخية زمنية معينة، ومجتمع معين، قائم على أرض الواقع الإنساني الموضوعي المباشر... ومن هنا أيضًا نصل إلى القول بأن استنباط الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام يكون من التنزيل الحكيم حصراً، لا من أقوال الرسول الأعظم؛ لأنّ هذا ليس من مهماته كرسول بالأصل، ولا من أقوال معاصري البعثة النبوية؛ لأنّ هذا ليس مطلوبًا منهم أصلاً"[1].

ثالثًا: السنة للاستئناس فقط:"السنة النبوية القولية، بمتواترها وآحادها سواء منها ما ذكر في كتب الحديث جميعًا أو ما انفرد أحد هذه الكتب بروايته، هي للاستئناس فقط. لأن السنة أحكام، والأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان، طبقًا لما

(١) فقه المرأة، شحرور ص ٦١.

أجمع عليه علماء الأصول. والمعيار الوحيد للأخذ أو عدم الأخذ بأحكامها، هو انطباقها علىٰ التنزيل الحكيم والواقع المعيش، أو تعارضها مع التنزيل الحكيم. فإن انطبقت أخذناها وإن تعارضت تركناها."[1].

رابعـًا: أقـوال الصـحابة: فيضـع الحـداثيون أنفسـهم نـداً لجيـل الصـحابة، فـلا يعيرون لإجماعهم أو آرائهم أيَّ اهتمام"وهذا هو بالذات السلاح الذي أشهره الخليفة المتوكل في الانقلاب السني الكبير بوجه المعتزلة وعلماء الكلام والمنطق، حين صاح بهم قائلاً: ألا يسعكم ما وسع الصحابة؟ وهذا هو بالذات السلاح الذي يشهره اليوم"متوكلو"القرن العشرين، وهم يصيحون بي علىٰ منابرهم: ألا يسعك ما وسع الصحابة؟ ولهؤلاء أقول بكل بساطة: كلا، لا يسعني"[2].



(١) فقه المرأة، شحرور ص ٦٤.

(٢) فقه المرأة، شحرور ص ٦٢.

المبحث الثاني: الحداثيون بين الواقع والقرآن

يتعامل الحداثيون مع القرآن كنص قابل للتأويل الخارج عن نطاق قواعد التفسير، وبآليات غريبة عن معايير الفهم المنطقي للقرآن، بغض النظر عن النتائج العقدية والاجتماعية؛ فيستخدمون"نظريات لغوية"ممسوخة منسوخة عن الغرب كالبنيوية[١]، والتفكيكية[٢] والسيميائية[٣]، المتصارعة مع الدين، فأنتجت (الأنسنة)[٤]، و(العقلنة)[٥]، ونسيان الآخرة (الأرخنة)، وتلقفها حداثيو العرب لنقد القرآن وصحيح السنة بمعايير إلحادية[٦].

وبناءً علىٰ ذلك نهج الحداثيون في تعاطيهم مع القرآن الكريم نهجين رئيسين:

المطلب الأول: إعادة قراءة القرآن[٧]:

يقول أدونيس"إنّ القرآن هو خلاصة ثقافة لثقافات قديمة ظهرت قبله.. وتؤيِّدُه

(١) البنيوية: أداة لتحليل الكلام بمنهج فكري مادي إلحادي، لجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وكلمة بنيوية مشتقة من كلمة"بنية"وهي بدورها مشتقة من الفعل اللاتيني"Struere"أي"بنىٰ"وهو الهيئة أو الكيفية التي يوجد الشيء عليها"فهي قابلة للتفكيك والتجزيء بغض النظر عن أي عامل خارجي عنها أي الوحي والغيب. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، ص ١٣٦.

(٢) أنشأه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا في كتابه"في علم الكتابة"، والملاحظ أنه لم يعرفه، ولكنه قدم منهجًا فلسفيًا، ينفي وجود تفسير واحد للمعنىٰ في النص، بل تفسيرات وتفسيرات، بالتالي لا قداسة لنص ولا احترام.

(٣) والسِّيمَاء هي العلامة، وتبحث السيمائية عن المعنىٰ، من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنىٰ الدالة، وهي لذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله، وإنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو: كيف قال النص ما قاله، ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد لتحدد ثوابته البنيوية. المزيد في كتاب: الاتجاه السيميائي د. محمد فليح الجبوري.

(٤) مذهب فلسفي أدبي مادي لا ديني، يؤكد علىٰ فردية الإنسان ضد الدين، دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط د. عاطف أحمد ص ١٧ – ١٨.

(٥) يُقصد بها فحص جميع المقولات والأحكام بواسطة العقل أولاً دون الالتفات إلىٰ مرتكزاتها خارج التعليل العقلي أو الحسي.. بمعنىٰ: لا عصمة لمنظور يشتغل عليه العقل، والنتيجة لا عصمة إلا للعقل.

(٦) تجد ذلك في كتاب: الثابت والمتحول، أدونيس.

(٧) وللأسف فقد ألف جاك بيرك كتاباً سماه: إعادة قراءة القرآن، دار النديم، وقد اعترض الأزهر علىٰ كثير من مواضيعه لا سيما بإعادة كتابة القرآن حسب ترتيب النزول أو المواضيع.

الدكتورة عطيات أبو السعود[١] وتصف السلفية العربيَّة بالتَّزمُّت، وتَشكُو من الحياة تقول:"في ظل تيار سلفي مُتزمِّت، يَضع ثوابتَ فكريةً، يَحذُر الاقترابُ منها"، وتطالب بتحرير العقل والفكر من رُكام اللاَّمعقول، الذي يُثقِل كاهل الثقافة العربيَّة.[٢]

وقد هاجم الحداثيون المفسرين القدماء واتهموهم بالمشاركة في مؤامرة التستر علىٰ الاضطراب الذي حصل عند جمع القرآن، واقتصارهم في تفسيره علىٰ المعاني السطحية[٣]"فما عسىٰ أن يكون موقف الباحث من هذه الظاهرة (يقصد ظاهرة إسقاط سور من القرآن الكريم من أبي بكر وعمر)[٤] لهو دليل علىٰ انعدام الحس النقدي عند السيوطي وأمثاله من المصنفين في عصر الجمود والانغلاق[٥]". فإعادة قراءة القرآن عندهم ضرورة تاريخية وأنثربولوجية[٦] وأبستمولوجية[٧]. [٨].

---

(١) استاذ فلسفة التاريخ بجامعة حلوان

(٢) في مقابلة أجرتها معه مجلة فكر وفن عام ١٩٨٧م:نفس المرجع.

(٣) للتفصيل انظر ورقة بحث: الحداثيون وقراءة النص الشرعي، د عبدالله الخطيب، ، مجلة الراصد، العدد ١١١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢

(٤) ما بين الأقواس تعليل الدكتور عبدالله الخطيب مجلة الراصد. http://www.alrased.net

(٥) نقد النص، علي حرب، ص ٢١.

(٦) وهو علم دراسة الإنسان في أصوله التاريخية عضويـًا وحضاريـًا بل وحتىٰ اجتماعيـًا، وتفاعلها معـًا، بعكس علوم الاجتماع والتاريخ والنفس والبيولوجيا والآداب والفنون. انظر كتاب الإنثروبولوجيا، مارك أوجيه، (مترجم للعربية) ترجمه جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩م. الأصل اللغة الفرنسية طبع سنة ٢٠٠٤.

فعالم الانثروبولوجيا في دراساته للإنسان بالمعنىٰ السالف الذكر يحاول أن يكشف ويصنف النواحي الجسمية التي تميز الإنسان عن بقية المخلوقات التي تعاصره، وتلك التي انقرضت أشكالها. كما يتجه نحو تحديد الصفات التي تميز الأجناس البشرية وتفاعل تلك الأجناس مع البيئة ليكشف أوجه الشبه والاختلاف بين مختلف الحضارات، فيتعدىٰ اهتمام عالم الانثروبولوجيا نطاق الوصف للجوانب البيولوجية والحضارية والاجتماعية إلىٰ محاولة استخلاص القوانين والأنساق التي تتحكم في تكوين المجتمعات والحضارات ونموها

(٧) فرع من العلوم يسمىٰ بـ"علم العلم"أو الابستمولوجيا (epistemology)ويطلق عليه أيضا علم المعرفة أو المعرفية، أو فلسفة العلوم. راجع فلسفة العلم في القرن العشرين، د يمنىٰ طريف الخولي، عالم المعرفة برقم ٢٦٤، عام ٢٠٠٠.

(٨) مثال ذلك تجده غي ثنايا كتاب: الإسلام الأمس والغد، محمد أركون ولوي غارديه، ترجمة علي المقلد.

ويصرح نصر حامد أبو زيد[1] بأنّ القرآن منتج ثقافي، فيقول:"إنَّ النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي؛ والمقصود بذلك أنَّه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد علىٰ العشرين عاما[2]، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقًا عليها، فإنَّ الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكِّر من ثَمَّ إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص"[3]. ويقول عن القرآن والسنة:"هي نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت علىٰ العشرين عامًا، وحين نقول: تشكلت؛ فإننا نقصد وجودها المتعين في الواقع والثقافة بقطع النظر عن أي وجود سابق لها في العلم الإلهي أو اللوح المحفوظ"[4].

ومنذ السبعينيات من القرن العشرين نشر محمد أركون عدة أبحاث نقدية لسانية وسيميائية وتحليلية للقرآن الكريم[5]، وتطورت دراساته ونشرها في كتاب[6] أعاد فيه قراءة سورتي الفاتحة والكهف، وقال في مقدمته:"تحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه الصحيحة وإبطال التفاسير الموروثة؛ بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته الخطاب النبوي"[7] فإذا قرأت كتابه وجدته يتحلل من كل آراء المفسرين؛ وما قعّده في مقدمته كان تمويهًا واستخفافًا بالعقول. و في كتاب آخر له يطالب:"بقراءةِ الفكر الإسلامي قراءةً علمية، وإخضاعِ القرآن الكريم لمحكِّ

(١) أكاديمي حداثي مصري، توفي ٢٠١٠، طالب بالتحرر من سلطة النصوص، أثار ضجة إعلامية في مصر أواخر القرن العشرين، وحكمت المحكمة المصرية بالتفريق بينه وبين وزوجته، فغادر وزوجته وهي أستاذة في الأدب الفرنسي إلىٰ هولندا، حيث عمل بجامعة لايدن. للتفصيل أنظر موقع فلاسفة العرب: http://www.arabphilosophers.com.

(٢) فترة نزول القرآن.

(٣) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر أبو زيد، ص ٢٤.

(٤) انظر كتابه: الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص١٠٣.

(٥) وهي في كتابه: قراءات في القرآن، نشر في باريس سنة ١٩٨٢.

(٦) وسماه: القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥،

(٧) القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص ٥.

النقدِ التاريخيِّ المقارن[١].

ويقرّ د نصر أبو زيد بربانية النصوص ولكنه يرجع ويقرر أنسنتها ونزولها تحت حكم قوانين الثبات والتحول؛ وهذا التفاف علىٰ النصوص بالمناورة في هامش الفهم؛ ونتيجته رفع القداسة، ولكن بلغة هرمينوطيقة[٢] فيقول:"إن النصوص- دينية كانت أم بشرية - محكومة بقوانين ثابتة، والمصدر الإلهي لا يخرجها عن هذه القوانين؛ لأنها تأنْسَنت منذ تجسَّدت في التاريخ واللغة، وتوجَّهت بمنطوقها ومدلولها إلىٰ البشر في واقع تاريخي محدَّد، إنها محكومة بجدلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في المنطوق، متحركة متغيرة في المفهوم، وفي مقابل النصوص تقف القراءة محكومة أيضاً بجدلية الإخفاء والكشف"[٣].

المطلب الثاني: القراءة الواقعية للقرآن:

وهنا تكمن خطورة الأمر وفداحته؛ فالنص الشريف قابل لتغير معناه بحسب القارئ الجديد بعصره الجديد، قد أعطت فلسفة الحداثة- بمناهجها التفكيكية والبنيوية وغيرها- سلطة للقارئ بأن يهيئ نفسه قبل القراءة للتلقي والنقد؛ فها هو أركون يكتب:"قبل أن أباشر القراءة...."يقصد قراءة سورة التوبة[٤]. ويتحمس لهذا الأمر نصر حامد أبو زيد؛ حتىٰ سماها بعلاقة المتلقي بالنص، مما جعله يقول بتغير طبيعة النص كليا! فيقول:"القرآن نص مقدس من ناحية منطوقه، ولكنه يصبح مفهوماً بالنسبي والمتغير، أي من جهة الإنسان ويتحول إلىٰ نسب إنساني"[٥]

(١) الحصار الفلسفي للقرن العشرين، للدكتورة عطيات أبو السعود ص ٥٠.

(٢) قضية الهرمنيوطيقا هي معضلة تفسير النص الديني أو التاريخي، ويقابلها تقريباً التأويل، وهي مبحث فلسفي. انظر كتاب"فهم الفهم مدخل إلىٰ (الهرمينوطيقا) نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر"د. عادل مصطفىٰ، دار النهضة، لبنان، ط (١)، ١٤٢٤هـ. وهناك طبعة رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولىٰ ٢٠٠٧.

(٣) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني ص ١١٨.

(٤) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ص٩٢-١٠٣.

(٥) في قراءة النص الديني، نصر حامد أبو زيد، ص٩٤.

وهذا ما يفتح باب الفوضى والاضطراب؛ فلا اعتبار لفهم سلف أو خلف؛ فكلٌ له فهمه الواقعي الشخصي بحسب قراءته هو وفهمه هو؛ فلا هيبة لعالم ولا سلطة لقاض، ففهمهم لا يلزم منه إلا الاحترام ولا يلزم منه الالتزام؛ فتدخل الأهواء.

ويصف أركون الفقهاء أنهم"صغار الأئمة قليلو المهارة، لم يتجاوزوا حتى الآن التلفيقية[1] التفسيرية الساذجة، التي تعيد بعض الثقة إلى المؤمنين والمؤمنات البسطاء المجذوبين نحو طقوسية وأيديولوجيا إسلام المعركة السياسية... فالسياسة السنية التقليدية (الأرثوذكسية) أو بالأحرى سياسة التشدد الدوغمائية[2] التي تقيد التعددية العقائدية، فهذه تعززت مع ظهور السلاجقة الأتراك، ثم ازدادت قوةً لعهد طويل مع ظهور العثمانيين"[3]

وهم بذلك يسمحون للقارئ المتلقي التفاعل مع النص ليعطي دلالات جديدة للنصوص، ومعان تتوافق مع الأهواء والرغبات والحاجات؛ فقد تطور الأمر واتسع الجرح وسمحوا للقارئ بأن يعطي دلالة للنص، ويعطي زيادةً في الألفاظ أيضًا، فيقول أحد أقزامهم[4]:"إذا كانت المعاني خاصة المبدع، فإنّ الألفاظ ألفاظ المتلقي، وأن يجد المبدع الألفاظ معه، وبإزاء ناظره إذا ظفر بالمعنى، فهذا يعني أن المبدع لحظة الظفر تلك يكون مسكونا بالمتلقي... وهذا يعني أن للمتلقي سلطة على النص تبدأ مع بدايات التفكير عند المبدع"[5]. وهذا الذي فعلوه بدلالة حد السرقة وهو القطع؛ فأعطوه دلالة معنويةً مجازية؛ فبدل القطع بمعنى البتر والفصل جعلوا الدلالة دلالة الكف والزجر عن السرقة بأي عقوبة أخرى، يقول شحرور:"من أين

(١) قلت: يقصد بالتلفيقية كره الرُّوح النَّقديّة.

(٢) أي التعصب لفكرة معينة ورفض النقاش فيها، كما يقال: لا نقاش في هذا الموضوع.

(٣) الأنسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي، محمد أركون، ص ٤٢.

(٤) سعد كموني، وهو أديب وباحث لبناني.

(٥) مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، د فاطمة الزهراء الناصري، .https://vb.tafsir.net/tafsir .

يأكل الذي قطعت يده اليمنىٰ من المرفق ثم تاب؟ وكيف نوفق بين وضعه وبين الحديث النبوي: التائب من الذنب كمن لا ذنب له؟[١] وما فائدة الرحمة في ختام الآية الثانية، وقد أصبح عاطلاً عن العمل؟.. لماذا لا يكون قطع الأيدي هو كف الأيدي بالسجن مثلاً؟"[٢].

ويصرح شحرور بأن بداية فهم كلام الله هو بفهم الواقع أولاً؛ فلا يتجلىٰ فهم الآية القرآنية إلا بالواقع الجديد المتطور فيقول: "أما كلمات الله فهي الوجود بفرعيه الكوني والإنساني، وهي القوانين الناظمة لهذا الوجود بفرعيه أيضـاً. فمن فهمنا لكلمات الله نفهم كلامه. أي أنّ مصداقية كلام الله (الرسالات السماوية) لا تظهر إلا في كلماته (الوجود الموضوعي الكوني والإنساني)، وما علينا لنفهم كلامه إلا أن ندرس كلماته في الوجود الكوني والإنساني بسننه وقوانينه"[٣]. وهذا تعييناً أسّ آفات الحداثة وفلسفتها الواقعية، وهو المغالاة في العقل، وكأن القرآن ما ذكر للعقل قيمة! ففي الواقع ما يقبله العقل وما يرفضه، والضابط هو الوحي، ولكن خطورة هذا الطرح لَتصل في نهاية الأمر إلىٰ أنّ علىٰ النص التكيف مع هذا الواقع، لا أن ينضبط الواقع مع هذا النص؛ وبذلك يعيق الخطة الإلهية من الغاية المرجوة للأمة المسلمة؛ لتستحيل من الأمة الحضارية الشاهدة إلىٰ مجرد شراذم بشرية تتلمس ظروفاً جديدة لتتوافق معها، وبدلاً من أن يتكيف الرصاص بحسب القالب، تكيف القالب بحسب الرصاص.

فلباس الخروج من البيت للمرأة خاضع عندهم للعرف الاجتماعي للمرأة؛ وهو ابتداءً من الحد الأدنىٰ[٤]- وهو حسب أعراف المجتمع الذي تعيش فيه

---

(١) سنن ابن ماجة، باب ذكر التوبة ٤٢٥٠ وحسنه الألباني، انظر حديث رقم: ٣٠٠٨ في صحيح الجامع.

(٢) فقه المرأة، شحرور ص١٠٢.

(٣) فقه المرأة، شحرور ص ٥٨.

(٤) الحد الأدنىٰ للباس المرأة بشكل عام هو تغطية الجيوب العلوية (الثديين وتحت الإبطين) بالإضافة =

وحسب ظروف الزمان والمكان- ويتدرج حتىٰ يبلغ حده الأعلىٰ بإظهار الوجه والكفين فقط.. وغطاء الرأس بالنسبة للرجل أو المرأة ليس له علاقة بإسلام ولا بإيمان وهو يتبع أعراف المجتمع بشكل كامل"[1].



=

إلىٰ الجيوب السفلية وهو ليس لباس الظهور الاجتماعي. وما مفهوم السرة والركبة إلا مفهوم اجتماعي فقهي بحت. فقه المرأة، شحرور ٣٧٩.

(١) فقه المرأة، شحرور ٣٧٩.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية

تمهيد: الحداثة والعلمانية:

مفهوم العلمانية ملاصق حتمي بمفاهيم الحداثة- وإن فرّق بينهما بعضهم- فهما وجهان لعملة واحدة، وقد نهجت عصابات العلمانيين المنهج الحداثي الغربي من أجل التغيير والنهوض المزعوم لديهم

ومن وجهة نظر الباحث فهما توأمان بأشكال مختلفة، فالعلمانية لا يهمها من الإسلام إلا انحصاره وانحساره في زوايا المساجد وأعمدة الزوايا، ولا ينساح تفاعلاً مع الحياة بشتىٰ أصناف مجالاتها، وتأتي الحداثة خادمة للعلمانية بكل ما يخدم نظرياتها. فالوحي في نظر محمد أركون خيالات تغذي العقل والخيال، ولا يمكن تطبيقها في الواقع، وفي هذا السياق يذكر أنّ الشافعي حاول أن يلبس هذه التشريعات ثوب الشرعية؛ فأخذ يبرر لها وضعها التي هي عليه، فوضع ما يسمىٰ بأصول الاجتهاد متمثلة في قواعد القانون، حصرها في أربعة مبادئ، يقول أركون:"تطرح هذه الرسالة أسس وقواعد القانون في أربعة مبادئ: ١- القرآن ٢- الحديث ٣- الإجماع ؛ لكن إجماع من؟ هل هو إجماع الأمة كلها، أم إجماع الفقهاء فحسب؟ وفقهاء أي زمن وأية مدينة؟ لا جواب، ٤- القياس، هذه هي الحيلة الكبرىٰ التي أتاحت شيوع ذلك الوهم الكبير بأن الشريعة ذات أصل إلهي..."إلىٰ أن يقول:"من جهة أخرىٰ ينبغي أن نشير إلىٰ حقيقة مهمة وهي أن هذه المبادئ الأربعة غير قابلة للتطبيق"[1].

ويعد نصر حامد أبو زيد العلمانية غاية الغايات التي تحرر المفكرين من سلطة التراث، فيقول"تلك هي الغايات التي يجب أن نسعىٰ إليها، ولا وصول إليها إلا من خلال"علمانية"حقيقية؛ لا تنفي الآخر، ولا تحاكم الفكر، بل تحرر العقل من أسر الحلول الجاهزة، سواء استوردت تلك الحلول من الماضي/ التراث، أم استوردت

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي د/ أحمد محمد زايد، ص ٢٩٧.

من الجانب الآخر من البحر المتوسط."[1]. ويرىٰ شحرور أنّ النبي محمد هو من مارس العلمانية بنفسه حين"فصل الجانب الشعائري عن الدولة وسلطاتها، ووضع منذ ذلك العصر أهمّ أساس من أسس المجتمع المدني، وهو عدم تدخل الدولة بأجهزتها في أمور الصلاة والصوم والحج، لأن الدولة تعني السلطة، والسلطة تعني القمع والإكراه والعقوبة للمخالفين. والنبي لم يستعمل سلطة الدولة في الشعائر بأي وجه من الوجوه، وفصلها عن السلطة فصلاً كاملاً عدا الزكاة، التي كانت في عصره مصدر الدخل الوحيد لميزانية الدولة، ثم انفصلت بدورها عن الدولة بعد أن انفتحت أمامها أبواب جديدة للدخل"[2].

ويرد حسن حنفي علىٰ حداثيين اتهموه بالسلفية والتراث قائلا:"نحن منذ فجر النهضة العربية الحديثة وحتىٰ الآن نحاول أن نخرج من الإيمان السلفي... إلىٰ أن يقول: أنا ماركسي شاب... وأنا هنا ماركسي أكثر من الماركسيين"[3].

وغايتهم من هذا التقعيد الشيطاني هو التأصيل لضلالاتهم وانحرافاتهم في تطبيق القرآن علىٰ الواقع؛ بهدم مرجعيته ومرجعية العلماء الربانيين؛ لتخلو لهم ساحة الاجتهاد بالهوىٰ والرغبات.

ويتجه الباحث لعرض بعض نماذج للحداثيين في إنزالهم القرآن علىٰ الواقع، وهي نماذج من ضلالات كاشفة عن بقية الضلالات، فالأمثلة كثيرة والمجال لا يتسع، فما سيذكره الباحث هو إشارات لا تحصُر، ولكنها بإذن الله عن لجام فكرهم تميط وتحيط.

---

(١) دوائر الخوف ص٣٠٨.

(٢) فقه المرأة، شحرور ٨١.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، سعيد الغامدي، ص ٥٢٤، نقلاً عن كتاب الحداثة والإسلام، عبدالمجيد الشرفي، ص٣١٨.

المطلب الأول: المرأة:

وضع الحداثيون أنفسهم مدافعين عن حقوق المرأة التي هضم حقها- كما يدّعون- فقهاء المسلمين، ويصفون المجتمعات الإسلامية بالمجتمعات الذكورية، وبالفقه الإسلامي أنه فقه ذكوري"فمن يتتبع الفقه الإسلامي يراه مصطبغًا بصبغة ذكورية فجّة منذ النشأة وحتىٰ الآن؛ فقد كان ولا يزال (شبه) محصوراً علىٰ الرجال دون النساء، بدءاً من كبار فقهاء الصحابة كابن عباس وعلي وغيرهما، ومروراً بأصحاب المدارس الفقهية الأربع الأكثر ذيعًا في العالم السني، أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وتلامذتهم: أبي يوسف والشيباني وزفر والأوزاعي وابن إسحاق والمزني.. وغيرهم من الرجال حصراً، ومن تلاهم كابن القيم وابن تيمية.. ومن لا يمكن حصر أسمائهم من الرجال حتىٰ وقتنا هذا"[1].

ويختزل حسن حنفي صورة المرأة من كتاب بداية المجتهد لـ"ابن رشد"بقراءة تتظاهر بالجهل، منحازة لأفكار مسبقة مغلوطة ليخرج بلفظ:"متأنثنة"صادرة من ذكر!![2]. وببجاحة فكر وصلافة رأي يساوي شحرور المرأة الحرة بالرجل الحر؛ ويستنكر تخصيص وطء المرأة علىٰ الرجل دون المرأة، فيقول:"نظام الرق يعطي الحق للرجل بأن يطأ ملك يمينه، لكنه لا يعطي ذات الحق للمرأة؛ بأن يطأها ملك يمينها؛ انطلاقًا من ذكورية المجتمعات التي تتبنىٰ هذا النظام، ومن نظرة الدونية التي تنظر بها هذه المجتمعات إلىٰ المرأة"[3]. ويقول:"ونتيجة لفهم خاطئ لمعنىٰ لفظة"النساء"في الآية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ آل عمران: ١٤ جرىٰ اعتبار المرأة

---

(١) ذكورية الفقه الإسلامي، أحمد شحاتة، الأحد ١٤ فبراير، ٢٠١٦، http://www.za2ed18.com.

(٢) النساء في الخطاب العربي المعاصر، حسن حنفي، ص ١١٦.

(٣) فقه المرأة، شحرور ص ٩٧.

متاعـًا، والمتاع هو ما ينتفع به من الأشياء، بينما لا يمكن اعتبار أنّ النساء هنا تعني أزواج الرجال، لأنّ الخطاب موجه للناس ذكوراً وإناثـًا، و"نساء"من"النسيء"وهو التأخير، كقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ التوبة: ٣٧، والناس قاطبةً تحب الجديد من الأشياء (الموضة)، وهذه الشهوة هي التي تحرك التقدم الصناعي، من صنع سيارات أحدث وثياب أحدث وكل ما يخضع للتجديد"[١].

ويصرح نصر حامد أبو زيد أنّ قضايا المرأة وأحكامها هي مسألة خاضعة للواقع والعرف الاجتماعي، فلا علاقة للدين والشرع بها فيقول:"إنّ قضية المرأة لا تناقش إطلاقـًا إلا بوصفها قضية اجتماعية، وإدخالها في دائرة القضايا الدينية هو في الحقيقة تزييف لها، وقتل لكل امكانيات الحوار الحر حولها."[٢]"وهِمَ الناسُ أنّ كل ما ذكره القرآن عن المرأة تشريع! وما هو بتشريع."[٣] ويقول:"إن الخطاب الديني يزيف قضية المرأة حين يصر على مناقشتها من خلال مرجعية النصوص، متجاهلاً أنها قضية اجتماعية في الأساس."[٤].

وهذه بعضٌ من النماذج من تنزيل الآيات على الواقع بالنسبة للمرأة:

أولاً: قوامة المرأة: حين خلق الله الرجل والمرأة أعطى قوامة البيت للرجل، لا تفضيلاً للرجل، بل لما أعطاه من قدرات حُرمت منها المرأة؛ لتعطى المرأة قدرات حرم منها الرجل؛ لتتكامل الحياة، ولم تعط القوامة للرجل للتسلط والاستبداد، بل للعناية والرعاية والحفظ، قال تعالى مخاطبـًا الرجال مادحـًا لمقامهم الرجولي[٥]: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ

(١) مقالة له بعنوان: المرأة بين الإسلام والفقه، https://newsyrian.net/ar/content.

(٢) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر حامد أبو زيد، ص٨٦.

(٣) نفس المرجع ص ٢٠٦.

(٤) نفس المرجع ص٦٢.

(٥) ذكر الله الرجال في القرآن مقترنـًا بصفات منها: ١- التعلق بالمساجد ٢- حب الطهارة ٣ - ذكر الله ٤ - وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة٥ — الخوف من الله المقترن بالعمل؛ لا خوف بلا خشية ٦ - الثبات على المبدأ الإسلامي ٧ — نصرو ومؤازرة الرسل ٨ - تقديم النصيحة الخالصة. ٩ — الصدق ١٠.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ النساء: ٣٤.

لكنّ الحداثيين نظروا لتصرفاتِ واقعٍ مأزوم آسن فحملوها على القرآن، وظنوا أنّ القرآن أعطى للرجل قوامة التحكم والدكتاتورية، فحملوا تصرفات الجهلة من الناس على اللفظة القرآنية، ويجعل نصر حامد أبو زيد مسألة القوامة مسألة وقتية تراعي الظروف الاجتماعية، وليست حكماً شرعياً دائماً، فيقول متسائلاً سؤال استنكار:"هل الآية تشرع للقوامة أم تصف واقع الحال في عصر ما قبل الإسلام؟"[1] والقوامة عند شحرور لا تقتصر على الرجال، بل هي أمر يتناوب فيه الرجل مع المرأة بحسب الحالة التي هم عليها؛ فتارةً هو القيّم وتارة هي القيّمة، ويقول:"ما ذهبت إليه الآية حين بدأت بقوامة الرجال على النساء﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.. ثم انتقلت إلى الإشارة إلى اشتراك الرجال والنساء فيما فضل الله بعضهم على بعض، ثم انتهت لتستعرض قوامة النساء على الرجال؛﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ ولفظ ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هنا يعني الصالحات للقوامة؛ إذ القوامة هي المدار الذي تدور حوله الآية"[2]. فالصلاح عند شحرور هو الصلاح للقوامة، وليتنازع كلٌّ من الرجل والمرأة القوامة بينهم بضوابط مجهولة، وليتولى القيادة أقواهم، ولتشهد محاكم القضاء ملفات جديدة للنزاع والخصام، وليتخصص الطب لتشريح القوامة، ليُقضى الأمر ويظهر المستحق لها؛ والسؤال المطروح: من يسلّم بأنّ غيره أهلٌ للقوامة؟ ومع أنّ المرأة مشبعةٌ ثقافياً وعرفياً ومِنْ قبله شرعياً بقوامة الرجل، لكننا نجد خصومات ونشوزات، فما بالنا لو صار الأمر مزاحمة ومباراة، وهل القوامة هكذا دائمةً، أم بحسب الظروف النفسية

(١) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة نصر حامد أبو زيد، ، ص ٢١٢.
(٢) فقه المرأة، شحرور ٣٢٣.

والصحية، وكأننا في قطيع كلاب يتولى القيادة الأكثر سيطرة!.

ويتطرف شحرور ليعطي السيدة خديجة قوامةً على رسول الله؛ لأنها واسته بمالها، خالطاً بين المواساة والقوامة، فقال:"أما القوامة، فيتكئ المجتمع الذكوري على الآية ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ النساء: ٣٤.فيؤخذ منها الجملة الأولى، ولا يقرأ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ، وينسى التأسي هنا بالرسول الأعظم، حيث كانت القوامة للسيدة خديجة، من حيث أفضليتها المادية، فكانت تنفق على البيت وكان هو متفرغاً للدعوة، ولم يتزوج من أخرى إلا بعد وفاة السيدة خديجة، وهذا ما نراه في حياتنا اليومية، لا سيما مع تعلم المرأة وخروجها للعمل، والمرأة الصالحة هي من تحفظ كرامة من تحت قوامتها، سواء كان أخاً أم أباً أم ابناً أم زوجاً."[1] فيعدّ شحرور حسن تعامل النبي لخديجة تبعية قوامة ورعاية، وبدلاً من أن يستشهد بهذه الحالة- حالة مواساة خديجة للنبي بمالها- على الاقتداء بالنبي بحسن المعاملة عكس الأمر وعدّها قوامةً عليه.

وهل قوامة الرجل على المرأة تُعدّ انتقاصاً من المرأة حتى يخجل منها حماة المرأة ويحرفوا فطرة الناس وشريعة ربهم؟

فالقوامة بمعناها القريب والبعيد هو القيام على الشؤون، أي الخدمة والاهتمام، ومنه القيّم على الشيء"قام الرجل على المرأة: صانها.. الرجال قوامون على النساء معنيون بشئونهنّ. وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ المائدة: ٦: أي: إذا هممتم بالصلاة وتوجهتم إليها بالعناية"[2]"أَيْ: إِنَّ مِنْ شَأْنِهِمُ الْمَعْرُوفِ الْمَعْهُودِ الْقِيَامَ عَلَى النِّسَاءِ بِالْحِمَايَةِ

(١) فقه المرأة، محمد شحرور، ص٣١٥.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسي، ٦/ ٥٩٢.

وَالرِّعَايَةِ وَالْوِلَايَةِ وَالْكِفَايَةِ، وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ دُونَهُنَّ، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْحِمَايَةَ لَهُنَّ.. والْقِيَام هُنَا هُوَ الرِّيَاسَةُ الَّتِي يَتَصَرَّفُ فِيهَا المرؤوس بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهَا أَنْ يَكُونَ المرؤوس مَقْهُورًا مَسْلُوبَ الْإِرَادَةِ لَا يَعْمَلُ عَمَلًا إِلَّا مَا يُوَجِّهُهُ إِلَيْهِ رَئِيسُهُ، فَإِنَّ كَوْنَ الشَّخْصِ قَيِّمًا عَلَىٰ آخَرَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ إِرْشَادِهِ وَالْمُرَاقَبَةِ عَلَيْهِ فِي تَنْفِيذِ مَا يُرْشِدُهُ إِلَيْهِ أَيْ: مُلَاحَظَتُهُ فِي أَعْمَالِهِ وَتَرْبِيَتِهِ"[١].

فالقوامة مكرمة للمرأة ورفعاً من شأنها؛ فهي المصانة المحترمة، والكدح والشقاء من نصيب الرجال، فلا تضام في كنف الرجل، ولذلك بدأ الله آيات القوامة بهذا المقام الرفيع مقام الرجولة.

ثانياً: ضرب الزوج للزوجة: إنّ أحد المآخذ- بل قل البلايا والقوارع- علىٰ منهج الحداثيين أنهم ينشئون فهوماً غريبة عن النص، ويحملون الألفاظ علىٰ هذه الفهوم؛ ومن ذلك جعلهم الضرب بمعنىً مجازي ينفر منه السياق، وإن توافق مع سياق آخر؛ يقول شحرور"الضرب هو اتخاذ موقف علني يتدخل فيه الأهل؛ بحيث يضع حداً لتصرفاتها، كقولنا: ضربت بيد من حديد، وكل هذا لا معنىٰ له إلا في حالة القوامة بيد المرأة"[٢]. ويقول:"قد تكون صاحبة القوامة أُماً تمارس التسلط والاستبداد وقلة الصبر وضيق الأناة والصدر في بيتها وعلىٰ أولادها، أو أختاً تمارس ذلك كله علىٰ إخوتها وأخواتها، أو جدة تمارسه علىٰ أولادها وأحفادها. في هذه الحالة يكون الحل بالعظة والنصيحة والقول الكريم ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ أما إذا لم ينفع الحل الأول بالعظة والثاني بالهجر بالنسبة للزوجة فيأتي حل"وَٱضۡرِبُوهُنَّ"؛ أي فاضربوا علىٰ أيديهن بسحب القوامة منهنّ."[٣]. فعلىٰ ذلك يا دكتور شحرور نقول: فإن لقينا عدواً غاشماً يريد قتلنا فلا نقاتله ولنأخذ علىٰ يديه ونزجره؛ وإلا: فما معنىٰ قوله تعالىٰ- بحسب فهمك-﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا ٥/ ٥٦.

(٢) فقه المرأة، د محمد شحرور، ص٣٢٢.

(٣) فقه المرأة، شحرور، ٣٢٤.

بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ الأنفال: ١٢ وما معنىٰ الضرب في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ البقرة: ٦٠ وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ البقرة: ٦٠. قال القُرطبي في تفسيره[١]:"الضَّربُ هو ضربُ التَّأديب غير المبرّح؛ فإنَّ المقصود منه الإصلاح لا غير، كما يَضربُ المؤدّبُ غلامَه عند تعليمه لِلْقرآن، وفي صحيح مسلم[٢]:"اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه[٣] فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح"[٤].

وقد ورد لفظ الضرب في القرآن الكريم علىٰ معان عدة ومنها:

١ - **الضرب بمعنىٰ الإيقاع**: الضرب: إيقاع شيء علىٰ شيء، وقد ورد في القرآن الكريم علىٰ حقيقته، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ ص: ٤٤ قال ابن عاشور:"ولأجل ذلك لما أقسم أيوب أن يضرب امرأته مائة جلدة، أمره الله أن يأخذ ضغثاً من مائة عصا فيضربها به، وقد علم الله أن هذا غيرُ مقصد أيوب؛ ولكن لما لم يرض الله من أيوب أن يضرب امرأته نهاه عن ذلك، وأمره بالتحلل؛ محافظة علىٰ حرص أيوب علىٰ البر في يمينه، وكراهته أن يتخلف منه معتاده في تعظيم اسم ربه، فهذا وجه من التحلة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ١٦١.

(٢) ٣٠٠٩، باب حَجَّةِ النبي -صلىٰ الله عليه وسلم.

(٣) المقصود أن لا يُدخِلْنَ إلىٰ بُيُوتكم أحدًا تَكْرهُونه، وليس الزنا.

(٤) أي شديد وحاد، برَّحَ بِهِ الْمَرَضُ: أَتْعَبَهُ وآذاهُ، قال ابن المطرز:"والتَّبْريحُ الإيذاءُ"المغرب في ترتيب المعرب، ابن المطرز، ١/ ٦٧.

أفتىٰ الله به نبيه"[١] وفي قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ الأنفال: ١٢ وهو قول للملائكة أو للمؤمنين، أي: أعاليها التي هي المذابح والرؤوس، ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ الأنفال: ١٢ أي: أصابعهم، أي: جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم[٢]. وفي قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة: ٧٣ فقلنا: اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة المذبوحة، فإن الله سيبعثه حياً، ويخبركم عن قاتله. فضربوه ببعضها فأحياه الله وأخبر بقاتله.[٣]

ومن بابه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ النساء: ٣٤. وغيرها من الآيات التي جاء فيها الضرب وأريد به الحقيقة وهو الايقاع.

٢- وقد جاء لفظ الضرب في القرآن بمعانٍ مجازية أخرىٰ؛ اقتضاه الكلام ومقتضىٰ الحال والسياق، يقول القزويني:"وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له مقتضىٰ الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا اعني تطبيق الكلام علىٰ مقتضىٰ الحال"[٤] فورد بمعنىٰ ضرب الأمثال، والسفر، والمنع، والوضع، والجعل، واللصوق واللزوم، والإمساك[٥].

فلا يجوز الخلط بين الاستعمال الحقيقي والاستعمال المجازي، وما حصل من خلط كان نتيجة انعدام المنهج العلمي الصحيح وقواعد الاستنباط السليم.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/ ٣٨٠.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، بن عجيبة ٣/ ١٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٣/ ٥٢.

(٣) اللباب في علوم الكتاب/ ٢/ ١٨٠، بحر العلوم/ ١/ ٩١

(٤) الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح، القزويني، ٨-٩.

(٥) انظر بحث الجذر(ض ر ب) بين الاستعمال المعجمي ومستويات الخطاب القرآني، د. عباس رحيل الجغيفي، شبكة الألوكة.

ومع أنّ الآية قرئت خطئًا وفهمت بخطيئة، وطبقت بظلم ومساءة؛ فالآية تصف حالةً خاصة لامرأة ناشز استعلت على زوج صالح في ذاته وصالح في تعامله وبعولته، فالآية تخاطب رجلاً قد ملأ البيت خيرات ومسرات، رجلاً يؤدي الحقوق كلها بمودة واقتدار، يَجبرُها بالشدائد، ويعطي لمشاعرها اهتمام، إن أثقلت أعان، وإن أمر قدّر

الاستطاعة[1]؛ وبعد كل هذا واجه استعلاءً ولقي استعصاءً وسوء عشرة وجفاءً[2].

ثم إنّ الشارع الحكيم ومع كل هذا الجفاء للرجل الصالح- الصالح في ذاته الصالح في بعولته- لم يأمر بالضرب لمجرد النشوز، بل أمره باتخاذ وسائل علاج تأخذ زمنها وتوفي حقها:

١) **الوعظ**: ولا يستهن قارئ القرآن بهذا العلاج؛ يظنه كلمات تلقى على عواهنها؛ ولكنّ هذه الكلمة تعطي رُقيّا للعلاقة الموصوفة بأنّ ميثاقها غليظ: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ النساء: ٢١ [3].

فالوعظ حكمة وصبر وأناة، الوعظ قدوة وحسن خطاب، الوعظ أخذ زمن وتجلد، كصبر الطبيب على السقام، الوعظ تقرب بهدية وخلوة واهتمام. يقول الرافعي:"الحقيقة كالأنثى، إن لم تزين بزينتها لم تستهو أحدًا؛ وأنّ الموعظة إن لم تتأد في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه.. ولعمري، كم من فقيه يقول للناس: هذا

(١) كل هذا وأكثر من قوله تعالى: قوامون، وقد سمى الله نفسه قيوما.

(٢) النشوز:"أصله النُبُوُّ والارتِفَاع يقال للمكان المرتفِع الذي لا يَطْمئِنُ مَنْ قَعَد عليه نَشْز ونَشَزٌ وكذلك ناشِسٌ وناشِصٌ وقد نَشَصت نُشُوصاً ويُقال للسَّحاب المرتَفِع الذي بَعْضُه فوْقَ بعضٍ نِشَاص"المخصص، لابن سيده ٥/ ٨٥.

(٣) ولم يوصف الميثاق بالغليظ إلا لثلاث: ميثاق الزوج من زوجه، وميثاق الأمة القاسية بني إسرائيل: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ النساء: ١٥٤ وميثاق الله من النبيين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ الأحزاب: ٧.

حرام. فلا يزيد هذا الحرام إلا ظهوراً وانكشافاً ما دام لا ينطق إلا نطق الكتب، ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع... ولكني رأيت فقهاء يعظون ويتكلمون علىٰ الناس في الحرام والحلال وفي نص كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم لم أجد لكلامهم نفعاً ولا رداً، إذ يلهمون الناس بأرواحهم غير المعنىٰ الذي يتكلمون فيه؛ وتسخر الحقيقة منهم- علىٰ خطرهم وجلال شأنهم- بذات الأسلوب الذي تسخر به من لص يعظ لصاً آخر فيقول له: لا تسرق"[1]. فالوعظ فنٌ وصدق، ويسبقه عملٌ وتجرد، فلا يأتين زوج مقصر في حق زوجه ويعظها بإعطاء الحقوق، ولا يأمرها بالطاعة وهو لم يقدم أسبابها.

٢) **الهجر في المضاجع**: وهي رسالة قوية لكل ذي عاطفة وعقل من النساء؛ فما لم يأت به الوعظ يأت به الهجر، ولا أدرَىٰ بحال الشريك أحدٌ إلا شريكه؛ فالمرأة تعلم من زوجها شوقه وإقباله عليها، فإذا به زاهدٌ بها، عصيٌّ عنها وهو في فراشها متداخلةٌ أنفاسهما، فتعرف حينئذ أنها حقاً قد أحدثت أمراً، ولا يصل لهذا الرقيّ العاطفي الشفاف إلا الإنسان الحقيقي ذي الروح الطيبة والمشاعر الصادقة.

وبعد كل هذا الهدوء وهذا العلاج بزمنه وحسن تطبيقه لا زالت تلك المرأة علىٰ نشوزها وغلظتها؛ فهل نهدم البيت ونكشف ستره أم نلجأ إلىٰ مبضع الجراح؟ إنّ هذه المرأة قد خرجت عن إنسانيتها؛ فما تحصّل منها بعد الوعظ شيء، ولا لانت لها بعد الهجر العريكة والطبع، فما عادت إلىٰ رشدها بالحوار أو بالهجر؛ فهل الضرب هنا من زوج هائج فائر صاخب! أم من رجل عكس صلاحه في الرخاء صلاحاً في الشدة؟ فلم يشرع الإسلام لسفيه طائش مقصر بضرب زوجه، بل أمر بالمعاشرة بالمعروف، وأنّ لها ما عليها بالمعروف. فهل يفضح الزوج زوجه؟ أم يلجأ لوسيلةٍ توجع البدن ولا تفضح الزوجة وتنشر أسرار البيت للعلن، قال رسول الله ﷺ: "لا تضربوا إماء الله، فجاء عمر إلىٰ رسول الله فقال: ذئرن النساء علىٰ أزواجهن، فرخص في ضربهن فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشكون أزواجهن،

---

(١) وحي القلم، مصطفىٰ صادق الرافعي، ٢/ ١٧٨.

فقال النبي: لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم"[1] فضرب النساء جائز وتركه أولىٰ، ومن ترك الضرب فهو خيّرٌ من الأخيار.

فلا مسوغ للخجل والتواري من حكم القرآن لإرضاء زيد أو عبيد، ولن ترضىٰ عنا بلاد الغرب إن حرفنا ديننا لإرضائهم، ومَنْ بيته من زجاج فلا يرمينّ الناس بالحجارة؛ فالمرأة في الغرب هي من تحتاج للتحرير والتقدير، ويا ليتها تصل لمعشار ما أقره لها الإسلام."فهناك ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلىٰ أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلىٰ الموت، وأنّ رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد علىٰ مكالمات حوادث العنف المنزلي[2].

ثالثًا: حجاب المرأة: يقول نصر حامد أبو زيد في موضوع الحجاب وآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ الأحزاب: ٥٩ :"إنّ حبس المرأة في زي الحجاب تجسيد رمزي للتغطية علىٰ عقلها ووجودها الاجتماعي، وهذا الإلغاء لوجودها الاجتماعي هو عملية قتل"[3] ويقول:"إدناء الأَمَة الجلابيب مصدر خلل في تنظيم الطبقات الاجتماعية، وهو خلل يرفضه عمر ابن الخطاب ويتصدىٰ له بقوة؛ إذ يضرب كل أمة تتقنع بالدرة؛ محافظة علىٰ زي الحرائر. ومن هذا المنظور يفقد إدناء الجلابيب البعد المُقدس الذي يُضفيه عليه بعض الأصوليين، فإن كان هذا الأمر مقدسًا شاملاً جميع النساء بلا استثناء بغرض

---

(١) سنن أبي داود، برقم ٢١٤٦ باب في ضرب النساء، وصححه الألباني(١٤٢٠هـ) انظر: صحيح أبي داود، ٦/ ٣٦٣، باب في ضرب النساء، ١٨٦٣ مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) من صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد بن إبراهيم الحمد، ص٢٠- ٢٤.

(٣) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر حامد أبو زيد، ص ١٢٥.

اتقاء الفتنة، فكيف يُستثنىٰ منه الإماء؟"[١]. ويقول: "إنّ الحجاب أعراف وتقاليد لا علاقة له لا بالإسلام ولا بالإيمان، ومع ذلك فقد جعلوا منه شعاراً سياسياً"[٢].

وأقول ناصحًا من كان في قلبه بقية إيمان وتوق للمعرفة: إنّ القراءة هي فريضة إسلامية كما أمر الله، وكما قيل في الأمثال: خير للإنسان أن يكون كالسلحفاة في الطريق الصحيح من أن يكون غزالاً في الطريق الخطأ، فمالكم تسرعون للضلالة وتعجلون لها! وخير لكم أن تتأنوا في الحكم والتوقيع عن الله، من أن تسيروا في الرهان الخطأ.

أما الرواية التي أوردتها د ألفة عن ضرب الإماء المتقنعات، وما ترتب عليه من نزع القداسة عن الحجاب، فأقول: في متن الرواية ما يكفي لفهمها؛ وهي التقنيع أي تقنيع الوجه؛ "وكان عمر إذا رأىٰ جارية متنقبة علاها بالدرة وقال: ألقي عنك الخمار يا دفار تتشبهين بالحرائر"[٣]؛ فعمر بن الخطاب رضىٰ الله عنه- علىٰ غرابة الرواية- نزع عنهنّ القناع؛ أي غطاء الوجه، وليس الحجاب؛ ذلك ليعرفن ويتميزن عن الحرة؛ فمرجعية الأَمَةِ وأصولها ودينها قد يملي عليها تصرفات يأنف عنها المجتمع الحر؛ لغربتهنّ وطريقة تربيتهنّ، فأراد سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه بطبيعته الشديدة أن يحافظ علىٰ ثقافة المجتمع من أي انحراف، ولا ننسىٰ استنكار المرأة حين أخذ البيعة من النساء بعدم الزنا حين قالت "أو تزني الحرة !!"[٤] فعمر - رضي الله عنه- لم يأمر الأمة بأن تخلع حجابها وتُظهر زينتها، كيف؟ وهو الأغير علىٰ دين المسلمين، ويعلم بأنّ من الجواري من هنّ يخلعن قلوب الرجال بفتنتهنّ، فكيف يأمر بكشف جسدها ومفاتنها. "لَكِنْ إنْ كَانَتْ الْأَمَةُ جَمِيلَةً يُخَافُ الْفِتْنَةُ بِهَا، حَرُمَ النَّظَرُ إلَيْهَا، كَمَا يَحْرُمُ النَّظَرُ إلَىٰ الْغُلَامِ الَّذِي تُخْشَىٰ الْفِتْنَةُ بِالنَّظَرِ إلَيْهِ. قَالَ

(١) ناقصات عقل ودين: فصول في حديث الرسول (مقاربة تحليلية نفسية)، ألفة، يوسف، ص١٠٣- ١٠٤.

(٢) فقه المرأة، ص٤٨.

(٣) الزيلعي، نصب الراية ١/ ٣٠٠، خلاصة الدرجة: غريب.

(٤) وإن كانت الرواية ضعيفة فدلالاتها صحيحة، فالمرأة الحرة تأنف من عمل الجواري والساقطات، مسند أبي يعلىٰ، أبو يعلىٰ الموصلي التميمي، ٨/ ١٩٤.

أَحْمَدُ فِي الْأَمَةِ إِذَا كَانَتْ جَمِيلَةً: تَنْتَقِبُ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَى الْمَمْلُوكَةِ، كَمْ مِنْ نَظْرَةٍ أَلْقَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا الْبَلَابِلَ"[1].قال ابن السعدي رحمه الله:"ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ"دل على وجود أذية إن لم يحتجبن؛ وذلك لأنهن إذا لم يحتجبن ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر، فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن"[2].

وليس للآية مفهوم كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ النور: ٣٣، فليست الآية تعطي الضوء الأحمر للتحرش بالإماء، ولكنها تمنع الحرة من الابتذال والأذى، وتمنع الأذى أيضـًا عن الإماء، بل سمى الله الساعين بالأذى في المدينة: أنهم مرجفون: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٠ ؛ ولكنها الحصانة والعفة والاستعلاء الخلقي للحرة من أن تهان في أسقاع الطرق وملاقف العيون.

وهذا لا يعني أنّ التعرض للإماء جائز ومرخص فيه:"وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ تَعَرُّضَ الْفُسَّاقِ لِلْإِمَاءِ جَائِزٌ، بل هُوَ حَرَامٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُتَعَرِّضِينَ لَهُنَّ مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.. وَفِي الْجُمْلَةِ: فَلَا إِشْكَالَ فِي أَمْرِ الْحَرَائِرِ بِمُخَالَفَةِ زِيِّ الْإِمَاءِ لِيَهَابَهُنَّ الْفُسَّاقُ، وَدَفْعُ ضَرَرِ الْفُسَّاقِ عَنِ الْإِمَاءِ لَازِمٌ"[3] ثم إنّ تفريق الحرة وتمييزها عن الأمة بحجابها محل خلاف بين أهل العلم، قال النووي:"قلت قد صرح صاحب البيان وغيره بأن الأمة كالحرة وهو مقتضى إطلاق كثيرين وهو أرجح دليلا والله أعلم."[4]:"وَالْأَصَحُّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ: أَنَّ الْأَمَةَ كَالْحُرَّةِ وَاللهُ أَعْلَمُ"[1]."لِاشْتِرَاكِهِمَا

(١) المغني لابن قدامة، ٧/ ٤٦١.
(٢) تفسير السعدي، ص ٦٧٢.
(٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ٦/ ٢٤٥.
(٤) روضة الطالبين، للنووي، ٧/ ٢٣.

فِي الْأُنُوثَةِ، وَخَوْفِ الْفِتْنَةِ ؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْإِمَاءِ يَفُوقُ أَكْثَرَ الْحَرَائِرِ جَمَالًا؛ فَخَوْفُهَا فِيهِنَّ أَعْظَمُ"[٢].

قال الألباني:"ومن العجائب أن يغتر بعض المفسرين بهذه الروايات الضعيفة، فيذهبوا بسببها إلىٰ تقييد قوله تعالىٰ: وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بالحرائر دون الإماء،.. وهذا- مع أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة-: مخالف لعموم قوله تعالىٰ: وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ؛ فإنه من حيث العموم كقوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَـٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء: ٤٣ ولهذا قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره:"والظاهر أنّ قوله: وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ: يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر؛ لكثرة تصرفهنّ، بخلاف الحرائر؛ فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلىٰ دليل واضح".[٣]

ولن أتكلم عن حدود العورة عند شحرور؛ الذي أباح للمرأة أن تلبس لباساً يشبه لباس البحر وتخرج به، وسمح للقواعد من النساء خلع جميع ملابسهنّ[٤] وما ذكرته عن المرأة هو جزء يسير من تنزيلات الحداثيين علىٰ الواقع؛ وذلك لمركزية الموضوع وأهمية المرأة في صلاح أو إفساد المجتمع، لذلك سأكتفي بما سبق مكتفياً بما أشرت إليه آنفاً.

المطلب الثاني: تعدد الزوجات:

يقع الحداثيون في تناقضات فكرية ومنهجية عدة؛ فهم يطلقون العنان لشهوات

=
(١) منهاج الطالبين، للنووي، ٢٠٤.
(٢) تحفة المحتاج، للهيتمي، ٧/ ١٩٩.
(٣) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ٧/ ٢٤٠.
(٤) فقه المرأة، شحرور، ٣٧٦- ٣٧٩.

الفرد أن تنطلق، ويرفضون الوصاية على حرية الآخرين، وقد رأينا كيف سمحوا للمرأة بالتعري[1]، ولو أدمن المخدرات فحريته أقدس من أن يلام شخص عليها، ومن نفاقهم وكرههم للدين أنهم حين رأوا لإباحة التعدد مرجعيةً دينية اضطرب منهجهم وتغيرت نظرتهم للحرية؛ فطفقوا بتأويل النصوص، والتكلف بفهمها ليمنعوا الشخص الحر العاقل من ممارسة حق شخصي ما فرضه الإسلام عليه، ولكنه أباحه للقادر الراغب من الناس فيه. فلم يرق لهم هذا التشريع وراقت لهم أحكام الشواذّ، لم يرق لهم الشرع وراقهم عقد زواج ذكر مع ذكر ليكوّنوا أسرة زواج، فأزتهم الشياطين لكرههم كل ما هو إسلامي، وزكموا أنوفنا بحقوق المرأة وهضم مستحقاتها. ففصلوا الأخلاق عن الدين وألّهوا الحرية الفردية، وأعطوا للمجتمع حق رسم الخلق الذي يناسبه. فغدت الأخلاق نسبية الزمان والمكان.

وسأختار نموذج محمد شحرور لعرض الاتجاه الحداثي في تعدد الزوجات لعدة أسباب:

١ - لم يرفض التعدد كفكرة بل رفضه كمسار عام وحصره بأمهات الأرامل فقط[2].

٢ – منهج شحرور منهج متفرد؛ بوضعه قاموساً معجمياً خاصاً به[3]، ولا ينطبق هذا على التعدد فقط، بل يتناول المفردات والمفاهيم المخالفة لفهمه، ويضع لها تعريفاً وتصريفا معجمياً من عنده كما رأينا من قبل.

٣ – يشترك مع غيره في الأحكام المسبقة، ليعطي لها دلالة ومصداقية من القرآن.

٤ - يشترك مع غيره ويتفوق عليهم بالانتقائية وعدم الشمول وعدم الإحاطة

---

(١) المطلب الأول، من المبحث الثالث.

(٢) يرى المهندس عدنان الرفاعي أنّ اليتامى هنا العانسات والأرامل فقط!! المعجزة الكبرى (معجزة إحدى الكبر) ص ٣٨٣ – ٣٩٣.

(٣) انظر كتابه الكتاب والقرآن، ص٧٧، مثلاً القلم عنده هو العملية التي يعرف بها الانسان و يميز بين الأشياء فالتقليم هو تمييز الأشياء بعضها عن بعض.

بالقرآن كمدرسة شاملة مترابطة.

أولاً: يباح التعدد للأرملة أم الأيتام فقط: يحصر د شحرور التعدد في الآية: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ النساء: ٣ يحصرها في أرملةٍ معها أولاد فقط، ويكون الزوج أبـًا لأولاد أيضـًا: فيقول:"في حالة الخوف من عدم النجاح بالإقساط إلىٰ اليتامىٰ علىٰ الوجه المطلوب، ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾، جاءت الآية بالحل؛ أي بالزواج من أمهاتهم الأرامل؛ ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، والخطاب هنا موجه إلىٰ المتزوجين من واحدة وعندهم أولاد، إذ لا محل في التعددية لعازب يتزوج أرملة واحدة عندها أولاد أيتام، بدلالة أن الآية بدأت بالاثنتين وانتهت بالأربع مثنىٰ وثلاث ورباع.

ثانيـًا: التعدد هنا أمراً لا إباحةً: يقول شحرور:"إن الله تعالىٰ لا يسمح فقط بالتعددية سماحـًا، بل يأمر بها في الآية أمراً، لكنه يشترط لذلك شرطين: الأول أن تكون الزوجة الثانية والثالثة والرابعة أرملة ذات أولاد، والثاني أن يتحقق الخوف من عدم الإقساط إلىٰ اليتامىٰ، وطبيعي أن يلغىٰ الأمر بالتعددية في حال عدم تحقق الشرطين.

أما من أين جاءت هذه الشرطية التي نذهب إليها ونقول بها، فإنها من البنية القواعدية التي صاغ تعالىٰ قوله فيها ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾"[1].

ثالثـًا: العدل المطلوب في الآية هو العدل بين أولاده وأولاد الزوجة الثانية الأرملة:"قد ذهب البعض إلىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ يعني عدم العدل بين الزوجات في العلاقات الزوجية، وهذا ليس عندنا بشيء، لأن السياق يحكي عن التعددية بمفهومها الاجتماعي الإنساني وليس بمفهومها الجنسي، ويدور

(١) فقه المرأة، شحرور ٣٠٤.

حول اليتامىٰ والبر بهم والقسط فيهم، ولأنه تعالىٰ انطلق في أمره بالاكتفاء بواحدة من حيثية واضحة تماماً هي قوله ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ أي أن الاكتفاء بالزوجة الأولىٰ أقرب إلىٰ أن يجنبكم الوقوع في عجز العول والإعالة"[1].

رابعاً: لا يترتب علىٰ الزوج المعدد من الأرملة العائل مهر أوميراث: فيقول"وتسهيلاً منه تعالىٰ لمسألة الزواج بأمهات اليتامىٰ، فقد أعفىٰ سبحانه الرجل من المهر والصداق حتىٰ يتزوجهن قاصداً وجه الله فيهن وفي أيتامهنّ، وذلك بقوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ۝١٢٧﴾ النساء: ١٢٧. كما حجب الإرث عن الزوجة الثانية والثالثة والرابعة"[2]

وما توصل إليه شحرور هو أنه خاض في بحر وقفنا نحن علىٰ شاطئه؛ بمعنىٰ أنه يرفض مطلقاً الاحتكام للروايات حتىٰ لو كانت صحيحة، ويفضل التيه اللغوي والعقدي علىٰ أن يستند لرواية حديثية، ولو أنه أخذ برواية البخاري لما خاض هذا البحر ولاستراح علىٰ شاطئه مستريح البال هانئ الحال، روىٰ البخاري بسنده عن عروة أنه سأل عائشة عن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ قالت: يا ابن أختي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها يريد أن يتزوجها بأدنىٰ من سنة صداقها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن فيكملوا الصداق وأمروا بنكاح من سواهن من النساء[3].

فالمعنىٰ واضح جليّ لا إغماض فيه ولا إشكال، فهو يوصي الأولياء: إن رغبتم

(١) فقه المرأة، شحرور، ٣٠٤.

(٢) فقه المرأة، شحرور، فقه المرأة ٣٠٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٧/ ٢، برقم ٥٠٦٤.

- ومن تحت ولايتكم- باليتامىٰ نكاحـًا فلا حرج؛ إن أخذن حقهنّ، فإن خفتم الظلم كونهنّ تحت وصايتكم فابحثوا عن الغريبة وما أكثرهنّ، قال البغوي: "معناه إن خفتم يا أولياء اليتامىٰ أن لا تعدلوا فيهنّ إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنىٰ وثُلاث ورُباعَ"[١].

وتأتي المعضلة الثانية عند شحرور وأمثاله؛ وذلك بعجزهم عن تناول التفسير بأدواته العربية واستبداله بأدوات غريبة، فعسُر الفهم، ونتج عنه السقم، والرضا بالوهم، فغابت عنهم جمائل اللغة ومحاسن البيان؛ قال ابن عاشور: "واعلم أنّ في الآية إيجازاً بديعـًا؛ إذ أطلق فيها لفظ اليتامىٰ في الشرط وقوبل بلفظ النساء في الجزاء، فعلم السامع أنّ اليتامىٰ هنا جمع يتيمة وهي صنف من اليتامىٰ في قوله السابق: ﴿ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ النساء: ٢. وعلم أنّ بين عدم القسط في يتامىٰ النساء وبين الأمر بنكاح النساء ارتباطـًا لا محالة؛ وإلاّ لكان الشرط عبثـًا، وبيانه ما في صحيح البخاري... وعائشة لم تسند هذا إلىٰ رسول الله ﷺ ولكن سياق كلامها يؤذن بأنّه عن توقيف؛ ولذلك أخرجه البخاري[٢] بسياق الأحاديث المرفوعة اعتداداً بأنها ما قالت ذلك إلاّ عن معاينة حال النزول، وأَفهام المسلمين التي أقرّها الرسول عليه السلام، لا سيما وقد قالت: ثمّ إنّ الناس استفتوا رسول الله، وعليه فيكون إيجاز لفظ الآية اعتداداً بما فهمه الناس ممّا يعلمون من أحوالهم، وتكون قد جمعت إلىٰ حكم حفظ حقوق اليتامىٰ في أموالهم الموروثة حفظ حقوقهم في الأموال التي يستحقّها البنات اليتامىٰ من مهور أمثالهنّ، وموعظة الرجال بأنّهم لمّا لم يجعلوا أواصر القرابة شافعة النساء اللاتي لا مرغِّب فيهنّ لهم فيرغبون عن نكاحهنّ، فكذلك لا يجعلون القرابة سببـًا للإجحاف بهنّ في مهورهنّ"[٣]

(١) معالم التنزيل، البغوي، ٢/ ١٦٠.
(٢) أخرجه أيضـًا في كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة النساء، ٦/ ٤٢، برقم ٤٥٧٤.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤/ ٢٢٣.

ولفظ النساء مطلق لكل امرأة، وتقييده بأم الأيتام يفتقر إلى القرينة، ولا قرينة تسعفه، ويمنع شحرور المرأة أم الأيتام من صداقها بناء على ظاهر الآية عنده، وهذا هضم لحقوقها صداقًا وإرثًا، مقابل رحمته بها لأجل أولادها، وإن جار عليها، فيقول"وتسهيلاً منه تعالى لمسألة الزواج بأمهات اليتامى، فقد أعفى سبحانه الرجل من المهر والصداق حتى يتزوجهن، قاصداً وجه الله فيهن وفي أيتامهن، وذلك بقوله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ النساء: ١٢٧. كما حجب الإرث عن الزوجة الثانية والثالثة والرابعة"[١] وتجاهل شحرور بأنّ الآية هنا تصف واقعًا سيئًا وتثرب عليه، وهو عدم إعطائهن ما كتب الله لهنّ"فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة، فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك بها لم يقدر أحد أن يتزَوّجها أبدًا، فإن كانت جميلة وهويها تَزَوَّجَها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبدا حتى تموت، فإذا ماتت ورثها. فَحَرَّم الله ذلك ونهى عنه"[٢].

ويوجه شحرور الأمر بالعدل للعدل بين أيتام المرأة اليتامى وبين أولاده، ويتناقض حين يحرمهنّ من الصداق والميراث مساواة بالزوجة الأولى؛ فيعدل بين الأولاد ويظلم أمهنّ! وما ذلك إلا لتخلخل منهجيته ونشوز أدوات تدبر.



(١) فقه المرأة، شحرور، ٣٠٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٤٢٥.

الخاتمة والتوصيات

فإن التعامل مع القرآن فهماً واجتهاداً وعملاً لا محالة محفوف بالحذر والأناة والوجل من قائله سبحانه وتعالىٰ، وليس القرآن مجالاً للتجارب من قبل عابث لم يحظ بأدنىٰ معايير الاجتهاد.

وما قام به دعاة الحداثة هو شكل من العبث والتشويش علىٰ القرآن، وهم حين ينحون بالقرآن مناحي منهجية غريبة عنه ولا توائمه ولا توائم مقاصده، يظنون أنهم يحسنون عملاً وصنعاً، فوقعوا في الزلل وتاهت بهم الضلالة، وحاولوا نشر أفكارهم باستخدام لغة صعبة بمفردات حاشدة ليغرق القارئ بها مختنقاً بحبالها فيقنع بجهله ويعترف بعلمهم؛ فتراهم يسيلون علىٰ القارئ بسيل من الكلمات الغريبة لترىٰ القارئ بعدها مخدر الفهم مصروف الوعي مأخوذ اللب لتيههم، ولكنهم في حقيقة أمرهم قد وقعوا في أخطاء في المنهج المتبع عندهم ومنها:

الإشكاليات المنهجية الانتقائية: فهم قد أساءوا فهم البعد المقاصدي للقرآن، وغضوا الطرف عن الأبعاد الأخرىٰ للقرآن؛ وهي الخلوص المطلق للحكم الإلهي الثابت بقوله"إن الحكم إلا لله"وحكموا بتقديم المصلحة علىٰ النص القطعي عند التعارض. فتراهم يؤمنون ببعض الأحكام ويحرفون أخرىٰ بتناقض منهجي لاضطراب المنهج عندهم كما رأينا في التعدد وحصره في الأرامل أمهات الولد وكيف أنهم أسقطوا حقوق الزوجة الثانية ليبرزوا العدل بين الأولاد! وهذا ما نتج عنه:

التكلف في إيجاد البديل لما ينقضونه من ثوابت؛ فبديل حد القطع في السرقة أوجد مشكلات لا حصر لها بقولهم إن القطع يحمل علىٰ المجاز بكف السارق عن السرقة بسجنه مثلاً؛ وهذا بديل ثبت فشله ونتائجه الوخيمة علىٰ المجتمع حين أهلت السجون هواة اللصوص لمحترفين وما يتبع ذلك من إجهاد مالي ومعنوي علىٰ الدولة ومحاكمها.

ومن أخطر ما يطرحه الحداثيون:

تبني تغير أحكام القرآن بتغيُّر مصالح الناس: وهذا ما هدد المرجعية الشريعة وخلخل مصداقيتها عند الجهال، فصارت الشريعة تابعة لأصل، وصارت هي الفرع المتحول المتبدل.

التوصيات:

يوصي الباحث بالاهتمام بالتراث الصحيح الموافق لصحيح السنة وقاطع القرآن، والاهتمام بالعلماء؛ فهم حراس الدين وحماته، ويهيب بالحكومات المسلمة تمهيد الساحات الفكرية للعلماء الربانين لنشر ثقافة القرآن ونقائه، والأخذ علىٰ يد المشاغبين علىٰ القرآن بالحوار الجاد والحكمة في التعامل معهم.

ويوصي الباحث طلبة العلم وأهل القرآن بالاهتمام بضوابط فهم القرآن من خلال علماء الأمة المشهود لهم بالصلاح والاجتهاد، ولا يتركوا لعقولهم العنان للسير وراء كل ناعق عابث بثوابت هذا الدين.

ويوصي الباحث جامعات العالم الإسلامي بتكثيف المؤتمرات العلمية للرد المنهج الدوري لكل شبهات الحداثيين- وما أسهل الرد عليها- وسهولة تناول هذه الردود للجميع، وطباعتها بمطويات سهلة القراءة، قوية الحجة، حكيمة السرد والرض.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا إضافةً للمكتبة القرآنية، حسبةً عند الله، ونفحةً أجد لطف عبيرها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً.

والحمد لله رب العالمين.



المراجع والمصادر

١- الاتجاه السيميائي في نقد السر العربي الحديث، د. محمد فليح الجبوري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ٣، ٢٠١٣م.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣- أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين، د. جهاد محمد فيصل النصيرات الجامعة الأردنية كلية الشريعة.

٤- أثر الواقع في التفسير، د. عماد يعقوب حمتو، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات عدد ٨، ٢٠١٥.

٥- الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة، د/ أحمد الريسوني، دار الفكر، دمشق ط ١، ٢٠٠٢م.

٦- الأساس الإلحادي للمفاهيم الغربية، د. أحمد إبراهيم خضر، مجلة البيان، العدد ٢٢٣.

٧- الإسلام الأمس والغد، محمد أركون، لوي غارديه، ترجمة علي المقلد، بيروت، دار التنوير، ط١، ١٩٨٣.

٨- الإسلام والحداثة، عبدالمجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، ط ١٩٩١م.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٥- ١٩٩٥م.

١٠-إعادة قراءة القرآن، جاك بيرك، ترجمة: د. وائل غالي شكري، تقديم: د.أحمد صبحيٰ منصور، دار النديم للصحافة، مصر، ط١، ١٩٩٦.

١١- اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، محمد برادة، مجلة فصول، عدد ٣، ١٩٨٤.

١٢-إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ط١.
١٣-الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، ٢٠١٤م.
١٤-الإنثروبولوجيا، مارك أوجيه، كتاب ترجمه جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩م. الأصل اللغة الفرنسية طبع سنة ٢٠٠٤.
١٥-الأنسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي، محمد أركون، ترجمة محمود عزب، دار الطليعة لبنان، ٢٠١٠م.
١٦-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٧-الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨.
١٨-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، منشورات الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ط ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٩-البرهان في علوم القرآن للزركشي، بَدْر الدِّينِ، (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٢٠-تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح. مركز الانماء القومي. بيروت. ١٩٨٦.
٢١-التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٢-تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنىٰ والتواصل، عبدالرزاق بلعقروز، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر:، ٢٠٠٩م.
٢٣-تفسير البحر المحيط محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
٢٤-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا، (ت١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.
٢٥-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ) تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٢٦-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن ابن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٧-الثابت والمتحول، أدونيس، علي أحمد سعيد، دار الساقي، ط ٧، ١٩٩٤.
٢٨-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري(٣١٠هـ) تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٩-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٠-جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤ - ١٩٩٤.
٣١-جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة، محمد ناصر الدين الألباني، دار السلام، ٢٠٠٢.
٣٢-حجية السُّنَّة، عبدالغني عبدالخالق، دار القرآن، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٣٣- الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية محمد بن عبدالعزيز العلي، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين في الرياض، سنة ١٤١٤هـ.

٣٤-الحداثيون وقراءة النص الشرعي، د عبداله الخطيب، مجلة الراصد، العدد ١١١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢.
٣٥-حدود عقلانية الحداثة الغربية والتأسيس الإيماني للعقل، عبدالرزاق بلعقروز، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، ١٩٨١م، العدد رقم ٧٢.
٣٦-الحصار الفلسفي للقرن العشرين، د عطيات أبو السعود، منشأة المعارف، الإسكندرية، أغسطس سنة ٢٠٠٢م.
٣٧-الدّراسات الدّينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلىٰ النّسبيّة الثّقافيّة، د المبروك المنصوري، تونس، الدّار المتوسّطيّة للنّشر، ٢٠١٠.
٣٨-دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٤م.
٣٩-روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٤٠-العقل في التاريخ، هيجل (جورج فلهلم فردريك): ترجمة د. إمام إمام، دار التنوير، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
٤١-العلمانية انتصاراً للعدل، ، ناصيف، نصار، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: ٢٠١٠م.
٤٢-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، بلا تاريخ.
٤٣-الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، هاشم صالح، مركز الانماء القومي، بيروت، ١٩٨٧.
٤٤-فلسفة العلم في القرن العشرين، د يمنىٰ طريف الخولي، عالم المعرفة برقم ٢٦٤، عام ٢٠٠٠.

٤٥-فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ٣، بلا تاريخ.
٤٦-فهم الفهم مدخل إلىٰ الهرمينوطيقا/ نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، د. عادل مصطفىٰ، دار النهضة، لبنان، ط (١)، ١٤٢٤هـ. وهناك طبعة رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولىٰ ٢٠٠٧.
٤٧-فهمُ القرآنِ ومعانيهِ لأبي عبدالله الحارثِ بن أسدِ المحاسبيِّ(٢٤٣هـ)، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر – بيروت، ط ٢، ١٣٩٨.
٤٨-في نظرية النقد عبدالمالك مرتاض، المجلس الأعلىٰ للثقافة، ط ١، ٢٠٠٧م.
٤٩-قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، د محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية (٢٠٠٦).
٥٠-القرآن من التفسير الموروث إلىٰ تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
٥١-الكتاب والقرآن، محمد شحرور، دار الساقي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢٣م.
٥٢-كلمات من الحضارة، د منصور عيد، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٥.
٥٣-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١.
٥٤-ليطمئن قلبي، محمد الطالبي، دار سراس للنشر، ٢٠٠٧.
٥٥-المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن ابن سيده المرسي، (ت ٤٥٨هـ) تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، بيروت.
٥٦-المخصص ـ لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧ط١، هـ ١٩٩٦م.
٥٧-مدخل إلىٰ الذوق والتدخل الفني، محمود أبو العباس عزام، ، ط٢، دار المفردات للنشر، الرياض.
٥٨- المرايا المحدبة من البنيوية إلىٰ التفكيك، عبدالعزيز حمودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.

٥٩-مسند أبي يعلى، أحمد بن علي الموصلي، دار المأمون للتراث، تحقيق: حسين سليم أسد دمشق، ط١، ١٤٠٤، ١٩٨٤.

٦٠-معالم التنزيل في تفسير القرآن/ تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ات٥١٠هـ)، تحقيق: عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٦١-معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٦٢-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، : تحقيق / مجمع اللغة العربية دار الدعوة.

٦٣- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر ط ١٣٩٩هـ.

٦٤-المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبدالسيدبن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩.

٦٥-المغني لابن قدامة، موفق الدين عبدالله الشهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٦٦-مفهوم النص، نصر أبو زيد، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢.

٦٧-منهاج الطالبين وعمدة المتقين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد طاهر شعبان، دار المنهاج، ط١.

٦٨-المهندس عدنان الرفاعي المعجزة الكبرى (معجزة إحدى الكبر)، دار الخير.

٦٩-الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.مجموع الفتاوى.

٧٠-الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٧١-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠هـ.

٧٢-موقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، د محمد حجر حسن القرني، مجلة البيان، ط١، ١٤٣٤هـ.

٧٣-ناقصات عقل ودين: فصول في حديث الرسول، مقاربة تحليلية نفسية، ألفة، يوسف، دار سحر للنشر، ط ٣، ٢٠٠٨.

٧٤-نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة، د محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، ط١ ٢٠٠٠م.

٧٥-النزعة الإنسانية"دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، د.عاطف أحمد، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ط٢، ١٩٩٩، القاهرة.

٧٦-نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، صححه ووضع الحاشية: عبدالعزيز الديوبندي الفنجاني، إلىٰ كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧٧-نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشروق، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، القاهرة.

٧٨-نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.

٧٩-وحي القلم، مصطفىٰ صادق الرافعي، منشورات: ktab INC.

المواقع الإلكترونية:

١- بحث الجذر(ض ر ب) بين الاستعمال المعجمي ومستويات الخطاب القرآني، د. عباس رحيل الجغيفي، شبكة الألوكة.

٢- جريدة الصباح الإلكترونية، ١١ فيفري، ٢٠١٤م.

٣- الحداثة: لفظ له رنين لإلغاء الدين ١٥ رجب ١٤٣٤هـ: http://taseel.com/articles/viewprint/ .

٤- الحداثة في الأدب المعاصر، مجلة الحرس الوطني مقال بعنوان: د. محمد مصطفىٰ هدارة. عدد ربيع الآخر ١٤١٠ هجرية.

٥- الحداثة وطريق النهضة، أ. د. مصطفىٰ حلمي، ٦/ ٩/ ١٤٢٩، http://www.alukah.net/sharia

٦- الحداثيون ومقاصد الشريعة، د أحمد الريسوني، مجلة الأمة الإلكترونية، ١٠ فبراير ٢٠١٤، http://www.al-omah.com.

٧- ذكورية الفقه الإسلامي، أحمد شحاتة، الأحد فبراير ١٤، ٢٠١٦، http://www.za2ed18.com.

٨- محمد أراكون والتراث"نموذج حداثي تجاه التراث د/ أحمد محمد زايد،"، https://saaid.net/mktarat/almani/70-4.htm

٩- مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، د. فاطمة الزهراء الناصري، موضوع قدم في ندوة وطنية نظمت بتنسيق بين:- المجلس العلمي المحلي بالمحمدية، - وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، - حول موضوع:"القراءات المعاصرة للقرآن الكريم"- سنة ٢٠٠٩ بالمغرب. https://vb.tafsir.net/tafsir

١٠-مقالة الحداثة المنفصلة عن القيمة والإله الخفي، ١٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ، http://www.aljazeera.net

١١-من صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد بن إبراهيم الحمد، موقع دعوة الإسلام 1425 http://www.toislam.net هـ.

١٢-المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين، د أنس

سليمان المصري النابلسي، ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

.http://islamport.com/k/mjl/6410/15817.htm

١٣-المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في الصحيحين، د أنس سليمان المصري النابلسي، منتدى التوحيد، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

